تفسير

جزء عمَّ

د. مجيد الخليفة

تفسير

جزء عمّ

منشورات الإلكترونية

١٤٤٧-٢٠٢٥

تفسير

جزء عمَّ

د. مجيد الخليفة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مُنْزِلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَهَادِي عِبَادِهِ إِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، الَّذِي بَلَّغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّىٰ الْأَمَانَةَ وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ هُوَ أَعْظَمُ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَهُوَ مَصْدَرُ الْهِدَايَةِ الْأَوَّلُ، وَمَنْبَعُ التَّشْرِيعِ الْأَصِيلُ، وَالنُّورُ الَّذِي يُبَدِّدُ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ، وَالْحَبْلُ الْمَتِينُ الَّذِي مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ نَجَا، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ خَسِرَ وَضَلَّ. وَقَدْ تَكَفَّلَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِحِفْظِهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، وَجَعَلَهُ مُعْجِزَةً خَالِدَةً بَاقِيَةً عَلَىٰ مَرِّ الْعُصُورِ وَالْأَزْمَانِ، تَتَجَدَّدُ مَعَانِيهِ، وَتَتَجَلَّىٰ أَسْرَارُهُ، وَتَزْدَادُ عَجَائِبُهُ كُلَّمَا أَمْعَنَ الْمُتَدَبِّرُونَ النَّظَرَ فِيهِ.

وَمِنْ أَجَلِّ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَأَشْرَفِهَا عِلْمُ التَّفْسِيرِ؛ إِذْ بِهِ تُفْهَمُ مَعَانِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَتُسْتَنْبَطُ أَحْكَامُهُ، وَتُدْرَكُ مَقَاصِدُهُ وَهِدَايَاتُهُ. وَقَدْ عُنِيَ الْعُلَمَاءُ بِهَذَا الْعِلْمِ عِنَايَةً عَظِيمَةً، فَبَذَلُوا جُهُودَهُمْ فِي بَيَانِ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ وَمَعَانِيهِ وَأَحْكَامِهِ

وَأَسْرَارِهِ، حَتَّىٰ تَكَوَّنَتْ ثَرْوَةٌ عِلْمِيَّةٌ هَائِلَةٌ تُمَثِّلُ أَحَدَ أَعْظَمِ مُنْجَزَاتِ الْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

وَيُعَدُّ جُزْءُ «عَمَّ» مِنْ أَكْثَرِ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَدَاوُلًا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ؛ فَهُوَ أَوَّلُ مَا يَحْفَظُهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاشِئَةِ وَطُلَّابِ الْعِلْمِ، وَتُقْرَأُ سُوَرُهُ فِي الصَّلَوَاتِ وَالْخُطَبِ وَالْمُنَاسَبَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ، لِمَا تَمْتَازُ بِهِ مِنْ قِصَرِ الْآيَاتِ وَقُوَّةِ الْأُسْلُوبِ وَوُضُوحِ الْمَقَاصِدِ. وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ التِّلَاوَةِ لَا تَسْتَلْزِمُ دَائِمًا تَمَامَ الْفَهْمِ، إِذْ قَدْ يَقْرَأُ الْمُسْلِمُ هَذِهِ السُّوَرَ مِرَارًا عَدِيدَةً دُونَ أَنْ يَقِفَ عَلَىٰ مَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَانِي الْجَلِيلَةِ، وَالدَّلَالَاتِ الْعَظِيمَةِ، وَالْهِدَايَاتِ التَّرْبَوِيَّةِ وَالْإِيمَانِيَّةِ الْعَمِيقَةِ.

وَقَدِ اشْتَمَلَ جُزْءُ «عَمَّ» عَلَىٰ جُمْلَةٍ مِنْ أُصُولِ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْكُبْرَىٰ؛ فَفِيهِ تَقْرِيرُ تَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَإِثْبَاتُ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَذِكْرُ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، وَوَصْفُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَبَيَانُ مَصَائِرِ الْخَلْقِ، وَإِقَامَةُ الْحُجَجِ عَلَىٰ مُنْكِرِي الرِّسَالَةِ، وَالتَّنْبِيهُ إِلَىٰ دَلَائِلِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ فِي الْأَنْفُسِ وَالْآفَاقِ. كَمَا احْتَوَىٰ عَلَىٰ أَلْوَانٍ مِنَ التَّرْبِيَةِ الْإِيمَانِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ الَّتِي تُزَكِّي النُّفُوسَ، وَتُهَذِّبُ السُّلُوكَ، وَتَرْبِطُ الْإِنْسَانَ بِخَالِقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وَمَنْ يَتَأَمَّلْ سُوَرَ هَذَا الْجُزْءِ يَجِدْ أَنَّهُ يُمَثِّلُ مَدْرَسَةً قُرْآنِيَّةً مُتَكَامِلَةً فِي بِنَاءِ الْعَقِيدَةِ وَتَرْسِيخِ الْإِيمَانِ؛ إِذْ نَزَلَ مُعْظَمُهَا فِي الْعَهْدِ الْمَكِّيِّ، حَيْثُ كَانَ التَّرْكِيزُ مُنْصَبًّا عَلَىٰ تَأْسِيسِ الْإِيمَانِ فِي الْقُلُوبِ قَبْلَ تَفْصِيلِ الْأَحْكَامِ وَالتَّشْرِيعَاتِ.

وَلِذَلِكَ جَاءَتْ آيَاتُهُ قَوِيَّةَ الْإِيقَاعِ، مُؤَثِّرَةَ الْعِبَارَةِ، تَهُزُّ الْقُلُوبَ هَزًّا، وَتُوقِظُ الْعُقُولَ مِنْ غَفْلَتِهَا، وَتَدْعُو الْإِنْسَانَ إِلَىٰ التَّفَكُّرِ فِي مَصِيرِهِ وَمُسْتَقْبَلِهِ الْأَبَدِيِّ.

وَلَمَا كَانَتِ الْحَاجَةُ مَاسَّةً إِلَىٰ تَقْرِيبِ مَعَانِي هَذِهِ السُّوَرِ الْمُبَارَكَةِ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَطُلَّابِ الْعِلْمِ، جَاءَ هَذَا الْكِتَابُ الْمَوْسُومُ بِـ «تَفْسِيرِ جُزْءِ عَمَّ»، لِيَكُونَ مُعِينًا عَلَىٰ فَهْمِ كَلَامِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَدَلِيلًا إِلَىٰ تَدَبُّرِ آيَاتِهِ، وَمِفْتَاحًا لِاسْتِخْرَاجِ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْكُنُوزِ الْعِلْمِيَّةِ وَالتَّرْبَوِيَّةِ وَالْإِيمَانِيَّةِ. وَقَدْ حَرَصْتُ فِيهِ عَلَىٰ الْجَمْعِ بَيْنَ وُضُوحِ الْعِبَارَةِ وَصِحَّةِ الْمَعْلُومَةِ، مَعَ الِاسْتِفَادَةِ مِنْ أَقْوَالِ أَئِمَّةِ التَّفْسِيرِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ، وَالِاعْتِمَادِ عَلَىٰ مَا صَحَّ مِنَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ وَآثَارِ السَّلَفِ الصَّالِحِ فِي بَيَانِ مَعَانِي الْآيَاتِ.

كَمَا سَعَيْتُ إِلَىٰ إِبْرَازِ الْجَوَانِبِ الْإِيمَانِيَّةِ وَالتَّرْبَوِيَّةِ وَالْوَعْظِيَّةِ الَّتِي يَحْتَاجُهَا الْمُسْلِمُ فِي حَيَاتِهِ الْيَوْمِيَّةِ، مَعَ الْإِشَارَةِ إِلَىٰ اللَّطَائِفِ الْبَلَاغِيَّةِ وَالْوَقَفَاتِ التَّدَبُّرِيَّةِ الَّتِي تَزِيدُ الْقَارِئَ ارْتِبَاطًا بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَتَجْعَلُهُ يَعِيشُ مَعَ الْآيَاتِ بِقَلْبِهِ وَعَقْلِهِ مَعًا، لَا بِمُجَرَّدِ التِّلَاوَةِ اللِّسَانِيَّةِ.

وَلَا أَدَّعِي فِي هَذَا الْعَمَلِ الْكَمَالَ، فَالْكَمَالُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَإِنَّمَا هُوَ جُهْدُ الْمُقِلِّ، فَإِنْ أَصَبْتُ فَمِنَ اللهِ وَحْدَهُ، وَإِنْ أَخْطَأْتُ فَمِنْ نَفْسِي وَالشَّيْطَانِ، وَاللهُ وَرَسُولُهُ بَرِيئَانِ مِنَ الْخَطَأِ وَالزَّلَلِ. وَأَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْكِتَابَ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَأَنْ يَنْفَعَ بِهِ كَاتِبَهُ وَقَارِئَهُ وَنَاشِرَهُ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ سَبَبًا لِفَهْمِ كِتَابِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا جَمِيعًا تَدَبُّرَ الْقُرْآنِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ، وَأَنْ

يَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قُلُوبِنَا، وَنُورَ صُدُورِنَا، وَجَلَاءَ أَحْزَانِنَا، وَذَهَابَ هُمُومِنَا.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

سُورَةُ النَّبَإِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِالِاتِّفَاقِ ، ويروىٰ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَا يَقْتَضِي أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نَزَلَتْ فِي أَوَّلِ الْبَعْثِ، رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «كَانَتْ قُرَيْشٌ تَجْلِسُ لَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ ، فَتَتَحَدَّثُ فِيمَا بَيْنَهَا ، فَمِنْهُمُ الْمُصَدِّقُ وَمِنْهُمُ الْمُكَذِّبُ بِهِ» ، فَنَزَلَتْ: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾.

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عَمَّ لَفْظُ اسْتِفْهَامٍ، وَلِذَلِكَ سَقَطَتْ مِنْهَا أَلِفُ (مَا)، لِيَتَمَيَّزَ الْخَبَرُ عَنِ الِاسْتِفْهَامِ ، وَالْمَعْنَىٰ: أَيْ عَنْ أَيِّ شَيْءٍ يَتَسَاءَلُونَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، وَهُوَ النَّبَأُ الْعَظِيمُ: يَعْنِي الْخَبَرَ الهائل الفظيع الباهر ، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ تَسَاؤُلَهُمْ عَمَّاذَا فقال:

[٢] : ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ النَّبَأُ: الْخَبَرُ، قَالَ الرَّاغِبُ: النَّبَأُ الْخَبَرُ ذُو الْفَائِدَةِ الْعَظِيمَةِ يَحْصُلُ بِهِ عِلْمٌ أَوْ غَلَبَةُ ظَنٍّ وَلَا يُقَالُ لِلْخَبَرِ نَبَأٌ حَتَّىٰ يَتَضَمَّنَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الثَّلَاثَةَ وَيَكُونَ صَادِقًا، قال قتادة: النَّبَأُ الْعَظِيمُ: الْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ الْقُرْآنُ، وَالْأَظْهَرُ الْأَوَّلُ، لِقَوْلِهِ:

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ أَيْ يُخَالِفُ فِيهِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَيُصَدِّقُ وَاحِدٌ وَيُكَذِّبُ آخَرُ.

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ كَلَّا نَفْيٌ يَقُولُ: هُمْ سَيَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ تَكْذِيبِهِمْ حِينَ تَنْكَشِفُ الْأُمُورُ.

[٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ وَعِيدٌ لَهُمْ عَلَىٰ إِثْرِ وَعِيدٍ، ثُمَّ ذَكَرَ صَنَائِعَهُ لِيَعْلَمُوا تَوْحِيدَهُ، فَقَالَ:

[٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ فراشـًا، وَالْمِهَادُ: الْوِطَاءُ وَالْفِرَاشُ، وَمَعْنَاهُ أَنَّهَا لَهُمْ كَالْمَهْدِ لِلصَّبِيِّ وَهُوَ مَا يُمَهَّدُ لَهُ فَيُنَوَّمُ عَلَيْهِ.

[٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ أَيْ لِتَسْكُنَ وَلَا تَتَكَفَّأَ وَلَا تَمِيلَ بِأَهْلِهَا. وَالْوَتَدُ: عُودٌ غَلِيظٌ شَيْئًا، أَسْفَلُهُ أَدَقُّ مِنْ أَعْلَاهُ يُدَقُّ فِي الْأَرْضِ لِتُشَدَّ بِهِ أَطْنَابُ الْخَيْمَةِ.

[٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أَصْنَافًا ذُكُورًا وَإِنَاثًا. وَقِيلَ: يَدْخُلُ فِي هَذَا كُلُّ زَوْجٍ مِنْ قَبِيحٍ وَحَسَنٍ، وَطَوِيلٍ وَقَصِيرٍ، لِتَخْتَلِفَ الْأَحْوَالُ فَيَقَعُ الِاعْتِبَارُ، فَيَشْكُرُ الْفَاضِلُ وَيَصْبِرُ الْمَفْضُولُ.

[٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ أي راحة لأبدانكم، وجَعَلْنا مَعْنَاهُ صَيَّرْنَا، وَمِنْهُ يَوْمُ السَّبْتِ أَيْ يَوْمَ الرَّاحَةِ، أَيْ قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: اسْتَرِيحُوا فِي هَذَا الْيَوْمِ، فَلَا تَعْمَلُوا فِيهِ شَيْئًا، وَأَنْكَرَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ هَذَا وَقَالَ: لَا يُقَالُ لِلرَّاحَةِ سُبَاتٌ، وَقِيلَ: أَصْلُهُ التَّمَدُّدُ، يُقَالُ: سَبَتَتِ الْمَرْأَةُ شَعْرَهَا: إِذَا حَلَّتْهُ وَأَرْسَلَتْهُ، فَالسُّبَاتُ كَالْمَدِّ، وَرَجُلٌ مَسْبُوتُ الْخَلْقِ: أَيْ مَمْدُودٌ. وَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَسْتَرِيحَ تَمَدَّدَ، فَسُمِّيَتِ الرَّاحَةُ سَبْتًا.

[١٠] قَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ غِطَاءً وَغِشَاءً يَسْتُرُ كُلَّ شَيْءٍ بظلمته. وَقال السُّدِّيُّ: أَيْ سَكَنًا لَكُمْ.

[١١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ الْمَعَاشُ: الْعَيْشُ وَهُوَ كُلُّ مَا يُعَاشُ بِهِ مِنَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، أَيْ جَعَلْنَا منها سَبَبًا لِلْمَعَاشِ وَالتَّصَرُّفِ فِي الْمَصَالِحِ.

[١٢] قَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ أَيْ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ مُحْكَمَاتٍ، أَيْ مُحكَمَةَ الْخَلْقِ وَثِيقَةَ الْبُنْيَانِ، قَالَ السَّعْدِيُّ: فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ، وَالصَّلَابَةِ وَالشِّدَّةِ، وَقَدْ أَمْسَكَهَا اللهُ بِقُدْرَتِهِ، وَجَعَلَهَا سَقْفًا لِلْأَرْضِ، فِيهَا عِدَّةُ مَنَافِعَ لَهُمْ، وَلِهَذَا ذَكَرَ مِنْ مَنَافِعِهَا الشَّمْسَ فَقَالَ:

[١٣] : ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾ يعني الشمس، ﴿وَهَّاجًا﴾ مضيئًا منيراً، وَالْوَهَّاجُ الَّذِي لَهُ وَهَجٌ وَيُقَالُ لِلْجَوْهَرِ إِذَا تَلَأْلَأَ تَوَهَّجَ ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَهَّاجًا مُنِيرًا مُتَلَأْلِئًا.

[١٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ يَعْنِي الرِّيَاحَ الَّتِي تَعْصِرُ السَّحَابَ، وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: الْمُعْصِرَاتُ هِيَ السَّحَابُ ، وَقَالَ سُفْيَانُ وَالرَّبِيعُ: أَيِ السَّحَائِبُ الَّتِي تَنْعَصِرُ بِالْمَاءِ وَلَمَّا تُمْطِرْ بَعْدُ، كَالْمَرْأَةِ الْمُعصِرِ الَّتِي قَدْ دَنَا حَيْضُهَا وَلَمْ تَحِضْ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : فَالرِّيَاحُ تُسَمَّىٰ مُعْصِرَاتٍ، يُقَالُ: أَعَصَرَتِ الرِّيحُ تُعْصِرُ إِعْصَارًا: إِذَا أَثَارَتِ الْعَجَاجُ، وَهِيَ الْإِعْصَارُ، وَالسُّحُبُ أَيْضًا تُسَمَّىٰ الْمُعْصِرَاتِ لِأَنَّهَا تُمطِرُ، ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾ صَبَّابًا مُتَتَابِعًا ، وَقَالَ قَتَادَةُ:

مُتَتَابِعًا يَتْلُو بَعْضُهُ بعضا. وَالثَّجَّاجُ فِي الْآيَةِ الْمُنْصَبُّ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: أَيِ الصَّبَّابُ، وَهُوَ مُتَعَدٍّ كَأَنَّهُ يَثُجُّ: نَفْسَهُ أَيْ يَصُبُّ.

[١٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ﴾ أي بذلك الماء، ﴿حَبًّا﴾ وَهُوَ مَا يَأْكُلُهُ النَّاسُ،كَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَنَباتـًا مِنَ الْأَبِّ ﴿وَنَبَاتًا﴾ مَا تُنْبِتُهُ الْأَرْضُ مِمَّا تَأْكُلُهُ الأنعام مِنَ الحشيش.

[١٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ أَيْ مُلْتَفَّةً بَعْضُهَا بِبَعْضٍ لِتَشَعُّبِ أَغْصَانِهَا، ثُمَّ هَذَا الِالْتِفَافُ وَالِانْضِمَامُ مَعْنَاهُ أَنَّ الْأَشْجَارَ فِي الْبَسَاتِينِ تَكُونُ مُتَقَارِبَةً ، فَالْأَغْصَانُ من كل شجرة متقاربة لقوتها.

[١٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ يَوْمَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْخَلْقِ، وَسُمِّيَ يَوْمَ الْفَصْلِ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَفْصِلُ فِيهِ بَيْنَ خَلْقِهِ ﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾ أَيِ وَقْتًا وَمَجْمَعًا وَمِيعَادًا لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، لِمَا وَعَدَ اللهُ مِنَ الْجَزَاءِ وَالثَّوَابِ.

[١٨] قَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ الصُّورُ: قَرْنٌ ، قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿أَفْوَاجًا﴾: زُمَرًا زُمَرًا، وَالْمَقْصُودُ ابْتِدَاءُ يَوْمِ الْفَصْلِ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، فَإِذَا جَمِيعُ الْخَلَائِقِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ يَجِيئُونَ زُمَرًا زُمَرًا، وَجَمَاعَةً جَمَاعَةً، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَإِنَّمَا قِيلَ: ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ لِأَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ أَرْسَلَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا تَأْتِي مَعَ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْهَا، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الصُّورِ قَدِ الْتَقَمَهُ**

وَأَصْغَىٰ سَمْعَهُ وَحَنَىٰ جَبْهَتَهُ يَنْتَظِرُ مَتَىٰ يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ؟ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: قُولُوا: **حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**»[1] .

[١٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ﴾ أَيْ شُقَّتْ لِنُزُولِ الْمَلَائِكَةِ، ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ أَيْ ذَاتَ أَبْوَابٍ، وَقِيلَ: تَنْحَلُّ وتتناثر حتىٰ تصير فيها أبوابا وطرقا.

[٢٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ، ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أَيْ هَبَاءً مُنْبَثًّا لِعَيْنِ النَّاظِرِ كَالسَّرَابِ.

[٢١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ طَرِيقًا وَمَمَرًّا فَلَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ إِلَىٰ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ يَقْطَعَ النَّارَ، وَقِيلَ: كَانَتْ مِرْصَادًا أَيْ مُعَدَّةً لهم، وَقِيلَ: هُوَ مَنْ رَصَدْتُ الشَّيْءَ أرصده إذا ترقبته، والمرصاد فِيهِ الْعَدُوَّ، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ أَيْ تَرْصُدُ الْكُفَّارَ، وَقِيلَ: طَرِيقًا وَمَمَرًّا، فَلَا سَبِيلَ إِلَىٰ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ يَقْطَعَ جَهَنَّمَ ، وَفِي الصِّحَاحِ: وَالْمِرْصَادُ: الطَّرِيقُ ، وَذَكَرَ الْقُشَيْرِيُّ: أَنَّ الْمِرْصَادَ الْمَكَانُ الَّذِي يَرْصُدُ فِيهِ الْوَاحِدُ الْعَدُوَّ، نَحْوَ الْمِضْمَارِ: الْمَوْضِعُ الَّذِي تُضْمَرُ فِيهِ الْخَيْلُ ، أَيْ هِيَ مُعَدَّةٌ لَهُمْ، فَالْمِرْصَادُ بِمَعْنَىٰ الْمَحَلِّ، فَالْمَلَائِكَةُ يَرْصُدُونَ الْكُفَّارَ حَتَّىٰ يَنْزِلُوا بِجَهَنَّمَ.

[٢٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِلطَّاغِينَ﴾ للكافرين، ﴿مَآبًا﴾ مرجعا يرجعون إليه، وَقَالَ قَتَادَةُ: مَأْوًىٰ وَمَنْزِلًا.

---

(١) أحمد (١١٠٠٥) والترمذي (٢٤٣١) .

[٢٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ جَمْعُ حِقْبٍ، وَالْحِقْبُ الْوَاحِدُ: ثَمَانُونَ سَنَةً، قَالَ الْحَسَنُ البصري: إِنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ لِأَهْلِ النَّارِ مُدَّةً، بَلْ قَالَ: ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا إِذَا مَضَىٰ حِقَبٌ دَخَلَ آخَرُ ثُمَّ آخَرُ إِلَىٰ الْأَبَدِ، فَلَيْسَ لِلْأَحْقَابِ عِدَّةٌ إِلَّا الخلود.

[٢٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ قال عَطَاءٌ: لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بردا أي روحا وراحة، قال مُقَاتِلٌ: لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا يَنْفَعُهُمْ مِنْ حَرٍّ وَلَا شَرَابًا يَنْفَعُهُمْ مِنْ عَطَشٍ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: والبرد عند العرب يَعْنِي النَّوْمَ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: مَنَعَ الْبَرْدُ الْبَرْدَ، يَعْنِي: أَذْهَبَ الْبَرْدُ النَّوْمَ.

[٢٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ الْحَمِيمُ: الْمَاءُ الْحَارُّ، قَالَ النَّحَّاسُ: أَصْلُ الْحَمِيمِ: الْمَاءُ الْحَارُّ، وَمِنْهُ اشْتُقَّ الْحَمَّامُ، وَمِنْهُ الْحُمَّىٰ والْغَسَّاقُ: الزَّمْهَرِيرُ يَحْرِقُهُمْ بِبَرْدِهِ، وَقِيلَ: صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ

[٢٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ أَيْ مُوَافِقًا لِأَعْمَالِهِمْ.

[٢٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ لَا يَخَافُونَ أَنْ يُحَاسَبُوا، وَالْمَعْنَىٰ: أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ ولا بأنهم يحاسبون.

[٢٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي بما جاء به الأنبياء، ﴿كِذَّابًا﴾ يعني تكذيبا.

[٢٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ أَيْ وَكُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْأَعْمَالِ بيناه في اللوح المحفوظ.

[٣٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَذُوقُوا﴾ أَيْ يُقَالُ لَهُمْ فَذُوقُوا، ﴿فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ قَالَ قَتَادَةُ: لَمْ يُنْزِلِ اللهُ عَلَىٰ أَهْلِ النَّارِ آيَةً أَشَدَّ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ فَهُمْ فِي مَزِيدٍ مِنَ الْعَذَابِ أَبَدًا.

[٣١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ فوز وَنَجَاةً مِنَ النَّارِ، قَالَ الضَّحَّاكُ: متنزها، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: ذَكَرَ جَزَاءَ مَنِ اتَّقَىٰ مُخَالَفَةَ أَمْرِ اللهِ مَفازاً مَوْضِعُ فَوْزٍ وَنَجَاةٍ وَخَلَاصٍ مِمَّا فِيهِ أَهْلُ النَّارِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلْفَلَاةِ إِذَا قَلَّ مَاؤُهَا: مَفَازَةٌ، تَفَاؤُلًا بِالْخَلَاصِ مِنْهَا.

[٣٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ هَذَا تَفْسِيرُ الْفَوْزِ. يُرِيدُ أَشْجَارَ الْجَنَّةِ وَثِمَارَهَا، و حَدَائِقَ، جَمْعُ حَدِيقَةٍ، وَهِيَ الْبُسْتَانُ الْمَحُوطُ عَلَيْهِ، يُقَالُ أَحْدَقَ بِهِ: أَيْ أَحَاطَ.

[٣٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ جَوَارِيَ نَوَاهِدَ قَدْ تَكَعَّبَتْ ثُدِيُّهُنَّ، واحدتها كاعب، ﴿أَتْرَابًا﴾ مُسْتَوِيَاتٍ فِي السِّنِّ.

[٣٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مُتْرَعَةً مَمْلُوءَةً. يُقَالُ: أَدْهَقْتُ الْكَأْسَ: أَيْ مَلَأْتُهَا، وَكَأْسٌ دِهَاقٌ أَيْ مُمْتَلِئَةٌ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: مُتَتَابِعَةً يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا، قَالَ عِكْرِمَةُ: صَافِيَةً، قال القشيري: وَالْمُرَادُ بِالْكَأْسِ الْخَمْرُ، فَالتَّقْدِيرُ: خَمْرًا ذَاتَ دِهَاقٍ، أَيْ عُصِرَتْ وَصُفِّيَتْ.

[٣٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ بَاطِلًا مِنَ الْكَلَامِ، ﴿وَلَا كِذَّابًا﴾ تَكْذِيبًا، لَا يُكَذِّبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

[٣٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ أَيْ جَازَاهُمْ جَزَاءً وَأَعْطَاهُمْ عَطَاءً حِسَابًا أَيْ كَافِيًا وَافِيًا، قَالَ الْكَلْبِيُّ: حَاسَبَهُمْ فَأَعْطَاهُمْ بِالْحَسَنَةِ عَشْرًا. يُقَالُ: أَحْسَبْتُ فُلَانًا أَيْ أَعْطَيْتُهُ مَا يكفيه حتىٰ قال حسبي.

[٣٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ﴾ أَيْ: الَّذِي أَعْطَاهُمْ هَذِهِ الْعَطَايَا هُوَ رَبُّهُمْ ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الَّذِي خَلَقَهَا وَدَبَّرَهَا ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الَّذِي رَحْمَتُهُ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، فَرَبَّاهُمْ وَرَحِمَهُمْ، وَلَطَفَ بِهِمْ، حَتَّىٰ أَدْرَكُوا مَا أَدْرَكُوا، ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ قَالَ مُقَاتِلٌ: لَا يَقْدِرُ الْخَلْقُ عَلَىٰ أَنْ يُكَلِّمُوا الرَّبَّ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: لَا يَمْلِكُونَ شَفَاعَةً إِلَّا بِإِذْنِهِ. وَقِيلَ: الْخِطَابُ: الْكَلَامُ، أَيْ لَا يَمْلِكُونَ أَنْ يُخَاطِبُوا الرَّبَّ سُبْحَانَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، دَلِيلُهُ: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [هود: ١٠٥].

[٣٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ أَيْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ وَاخْتَلَفُوا فِي هَذَا الرُّوحِ، قَالَ الشَّعْبِيُّ وَالضَّحَّاكُ: هُوَ جِبْرِيلُ ، وَهُنَاكَ أَقْوَالٌ غَرِيبَةٌ عَجِيبَةٌ عِنْدَ الْمُفَسِّرِينَ فِي تَفْسِيرِ الرُّوحِ لَا دَلِيلَ عَلَيْهَا. قُلْتُ: وَإِنَّمَا خَصَّهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِالْإِفْرَادِ بِالذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْمَلَائِكَةِ لِشَرَفِهِ فِيهِمْ ، وَالْمَقْصُودُ: يَقِفُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْمَلَائِكَةُ الْكِرَامُ فِي ذَلِكَ الْمَشْهَدِ الْمَهِيبِ مُصْطَفِّينَ صَامِتِينَ لَا يَتَكَلَّمُونَ ، ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ فِي الدُّنْيَا، أَيْ حَقًّا وَقِيلَ: قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ .

[٣٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ الْكَائِنُ الْوَاقِعُ يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ مَرْجِعًا وَسَبِيلًا بِطَاعَتِهِ، أَيْ فَمَنْ شَاءَ رَجَعَ إِلَىٰ اللهِ بِطَاعَتِهِ.

[٤٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ يعني الْعَذَابَ فِي الْآخِرَةِ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ، ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أَيْ كُلُّ امْرِئٍ يَرَىٰ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَا قَدَّمَ مِنَ الْعَمَلِ مُثْبَتًا فِي صَحِيفَتِهِ، ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ يَتَمَنَّىٰ ذَلِكَ. عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مُدَّتِ الْأَرْضُ مَدَّ الْأَدِيمِ، وَحُشِرَتِ الدَّوَابُّ وَالْبَهَائِمُ وَالْوُحُوشُ، ثُمَّ يُوضَعُ الْقِصَاصُ بَيْنَ الْبَهَائِمِ، حَتَّىٰ يُقْتَصَّ لِلشَّاةِ الْجَمَّاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ بِنَطْحَتِهَا، فَإِذَا فُرِغَ مِنَ الْقِصَاصِ بَيْنَهَا قِيلَ لَهَا: كُونِي تُرَابًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ ﴿يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾.

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّبَإِ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِالِاتِّفَاقِ.

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ يَعْنِي الْمَلَائِكَةَ تَنْزِعُ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ مِنْ أَجْسَادِهِمْ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: الملائكة حِينَ تُنْزَعُ أَرْوَاحُ بَنِي آدَمَ، فَمِنْهُمْ مَنْ تأخذ روحه بعسر فتغرق في نزعها، ومنهم مَنْ تَأْخُذُ رُوحَهُ بِسُهُولَةٍ وَكَأَنَّمَا حَلَّتْهُ مِنْ نشاط، وَغَرْقًا: اسْمُ مَصْدَرِ أَغْرَقَ، وَأَصْلُهُ إِغْرَاقًا، كَمَا يُغْرِقُ النَّازِعُ فِي الْقَوْسِ فَيَبْلُغُ بِهَا غَايَةَ المد، وَالْمُرَادُ بِالْإِغْرَاقِ: الْمُبَالَغَةُ فِي الْمَدِّ، وقيل: وَغَرْقًا: تَشْبِيهٌ لِغُرُوبِ النُّجُومِ بِالْغَرَقِ فِي الْمَاءِ.

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ هِيَ الْمَلَائِكَةُ تُنْشِطُ نَفْسَ الْمُؤْمِنِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْنِي الْمَلَائِكَةَ تَنْشِطُ نَفْسَ الْمُؤْمِنِ فَتَقْبِضُهَا كَمَا يُنْشَطُ الْعِقَالُ مِنْ يَدِ الْبَعِيرِ: إِذَا حُلَّ عَنْهُ، وَالنَّشْطُ: الْجَذْبُ بِسُرْعَةٍ، وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: هِيَ الْمَلَائِكَةُ تَنْشَطُ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ، مَا بَيْنَ الْجِلْدِ وَالْأَظْفَارِ، حَتَّىٰ تُخْرِجَهَا مِنْ أَجْوَافِهِمْ نَشْطًا بِالْكَرْبِ وَالْغَمِّ، كَمَا تَنْشِطُ الصُّوفَ مِنْ سَفُّودِ الْحَدِيدِ، وَهِيَ مِنَ النَّشْطِ بِمَعْنَىٰ الْجَذْبِ.

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ هَمُ الْمَلَائِكَةُ يَقْبِضُونَ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ يُسَلُّونَهَا سُلًّا رَفِيقًا، ثُمَّ يَدَعُونَهَا حَتَّىٰ تَسْتَرِيحَ كَالسَّابِحِ بِالشَّيْءِ فِي الماء يرفق به. وَقَالَ قَتَادَةُ: هِيَ النُّجُومُ وَالشَّمْسُ والقمر، قال الله تعالىٰ: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هِيَ الْمَلَائِكَةُ تَسْبِقُ الشَّيَاطِينَ بِالْوَحْيِ إِلَىٰ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قَالَ مُجَاهِدٌ: هِيَ الْمَلَائِكَةُ سَبَقَتْ ابْنَ آدَمَ بِالْخَيْرِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: هِيَ الْمَلَائِكَةُ تَسْبِقُ بأرواح المؤمنين إلىٰ الجنة، وَقَالَ قَتَادَةُ: هِيَ النُّجُومُ يَسْبِقُ بَعْضُهَا بَعْضًا فِي السَّيْرِ، وَقَالَ عَطَاءٌ: هِيَ الْخَيْلُ.

[٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُمُ الْمَلَائِكَةُ وُكِّلُوا بِأُمُورٍ عَرَّفَهُمُ اللهُ عز وجل العمل بها، وَجَوَابُ هَذِهِ الْأَقْسَامِ مَحْذُوفٌ عَلَىٰ تقديره: لَتُبْعَثُنَّ وَلَتُحَاسَبُنَّ، وَقِيلَ: جَوَابُهُ قَوْلُهُ: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ. وَقِيلَ: فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ تقديره: يوم ترتجف الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا.

[٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ يَعْنِي النَّفْخَةَ الْأُولَىٰ يَتَزَلْزَلُ وَيَتَحَرَّكُ لَهَا كُلُّ شَيْءٍ وَيَمُوتُ مِنْهَا جميع الخلق، و الْمُرَادُ بِ الرَّاجِفَةُ الصَّيْحَةُ وَالزَّلْزَلَةُ الَّتِي تَرْجُفُ الْأَرْضُ بِسَبَبِهَا جُعِلَتْ هِيَ الرَّاجِفَةَ.

[٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ وَهِيَ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ رَدَفَتِ الْأُولَىٰ وَبَيْنَهُمَا أَرْبَعُونَ سَنَةً ، قَالَ قَتَادَةُ: هُمَا صَيْحَتَانِ فَالْأُولَىٰ تُمِيتُ كُلَّ شَيْءٍ وَالْأُخْرَىٰ تُحْيِي كُلَّ شَيْءٍ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَالَ مجاهد: وأصل الرجفة: الصوت والحركة، والرَّادِفَةُ: التَّالِيَةُ، يُقَالُ: رَدِفَ بِمَعْنَىٰ تَبِعَ، وَالرَّدِيفُ: التَّابِعُ لِغَيْرِهِ.

[٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ خائفة قلقة مضطربة ، وَقَالَ السُّدِّيُّ: زَائِلَةٌ عَنْ أَمَاكِنِهَا ، وَالْوَاجِفَةُ: الْمُضْطَرِبَةُ مِنَ الْخَوْفِ.

[٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ ذَلِيلَةٌ كَقَوْلِهِ: ﴿خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ﴾ [الشورىٰ: ٤٥] الآية، وَمَعْنَىٰ خاشِعَةٌ مُنْكَسِرَةٌ ذَلِيلَةٌ مِنْ هَوْلِ مَا ترىٰ.

[١٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَقُولُونَ﴾ يَعْنِي الْمُنْكِرِينَ لِلْبَعْثِ إِذَا قِيلَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ: ﴿أءَنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ أَيْ إِلَىٰ أَوَّلِ الْحَالِ وَابْتِدَاءِ الْأَمْرِ فَنُصَيَّرُ أَحْيَاءً بَعْدَ الْمَوْتِ كما كنا، يُقَالُ: رَجَعَ فُلَانٌ فِي حَافِرَتِهِ، أَيْ رَجَعَ مِنْ حَيْثُ جاء، وَقِيلَ: الْحافِرَةِ: الْأَرْضُ الَّتِي تُحْفَرُ فِيهَا قُبُورُهُمْ، فَهِيَ بِمَعْنَىٰ الْمَحْفُورَةِ، والمعنىٰ أينا لَمَرْدُودُونَ فِي قُبُورِنَا أَحْيَاءً.

[١١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أءَذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾ أَيْ بَالِيَةً مُتَفَتِّتَةً، يُقَالُ: نَخِرَ الْعَظْمُ بِالْكَسْرِ: أَيْ بَلِيَ وَتَفَتَّتَ.

[١٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوا﴾ يَعْنِي الْمُنْكِرِينَ، ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ رَجْعَةٌ خَائِبَةٌ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ، قَالَتْ قُرَيْشٌ: لَئِنْ أَحْيَانَا اللهُ بَعْدَ أَنْ نَمُوتَ لَنَخْسَرَنَّ،قَالَ اللهُ عَزَّ وجل:

[١٣] : ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾ يعني النفخة الأخيرة، ﴿زَجْرَةٌ﴾ صيحة، ﴿وَاحِدَةٌ﴾ يسمعونها.

[١٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ يَعْنِي وَجْهَ الْأَرْضِ أَيْ صَارُوا عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ بَعْدَ مَا كَانُوا فِي جَوْفِهَا ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ قَالَ: أَرْضٌ بَيْضَاءُ عَفْرَاءُ خَالِيَةٌ كَالْخُبْزَةِ النّقي قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ :

[١٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ يَقُولُ قَدْ جَاءَكَ يَا مُحَمَّدُ حَدِيثُ مُوسَىٰ.

[١٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ قَالَ السَّعْدِيُّ : وَهُوَ الْمَحَلُّ الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ فِيهِ، وَامْتَنَّ عَلَيْهِ بِالرِّسَالَةِ، وَاخْتَصَّهُ بِالْوَحْيِ وَالِاجْتِبَاءِ، قَالَ الْفَرَّاءُ: طُوًىٰ: وَادٍ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَمِصْرَ.

[١٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ يُخْبِرُ تَعَالَىٰ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّهُ ابتعثه إلىٰ فرعون وأيده الله بِالْمُعْجِزَاتِ، وَمَعَ هَذَا اسْتَمَرَّ عَلَىٰ كُفْرِهِ وَطُغْيَانِهِ حَتَّىٰ أَخَذَهُ اللهُ أَخذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ، فَقَالَ:

[١٨] : ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ﴾ أَيْ تُسْلِمُ فَتطْهُرَ مِنَ الذُّنُوبِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

[١٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ أَيْ أَدْعُوكَ إِلَىٰ عِبَادَةِ رَبِّكَ وَتَوْحِيدِهِ فَتَخْشَىٰ عِقَابَهُ ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : فيصيرَ قلبُكَ خاضعًا له مطيعًا خاشعًا بعد ما كان قاسيًا خبيثًا بعيدًا من الخير ، وقَالَ ابْنُ عَاشُورٍ : وَفِي الِاقْتِصَارِ عَلَىٰ ذِكْرِ الْخَشْيَةِ إِيجَازٌ بَلِيغٌ لِأَنَّ الْخَشْيَةَ مِلَاكُ كُلِّ خَيْرٍ، وَفِي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « **مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الْجَنَّةُ**»(١).

[٢٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ وَهِيَ الْعَصَا وَالْيَدَ الْبَيْضَاءُ ، وَقِيلَ: الْآيَةُ: إِشَارَةٌ إِلَىٰ جَمِيعِ آيَاتِهِ وَمُعْجِزَاتِهِ، فَكَذَّبَ أَيْ كَذَّبَ نَبِيَّ اللهِ مُوسَىٰ وَعَصىٰ أَيْ عَصَىٰ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

[٢١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَكَذَّبَ﴾ بأنهما من الله ﴿وَعَصَىٰ﴾ .

[٢٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ تَوَلَّىٰ وَأَعْرَضَ عَنِ الْإِيمَانِ ﴿يَسْعَىٰ﴾ يَعْمَلُ بِالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، أَيْ وَلَّىٰ مُدْبِرًا مُعْرِضًا عَنِ الْإِيمَانِ يَسْعىٰ أَيْ يَعْمَلُ بِالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَقِيلَ: يَعْمَلُ فِي نِكَايَةِ مُوسَىٰ.

---

(١) الترمذي (٢٤٥٠) .

[٢٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَحَشَرَ﴾ فجمع قومه وجنوده، وَقِيلَ: جَمَعَ جُنُودَهُ لِلْقِتَالِ وَالْمُحَارَبَةِ، وَالسَّحَرَةَ لِلْمُعَارَضَةِ، ﴿فَنَادَىٰ﴾ لَمَّا اجْتَمَعُوا.

[٢٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ فَلَا رَبَّ فَوْقِي، وَقِيلَ: أَرَادَ أَنَّ الْأَصْنَامَ أَرْبَابٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ وَرَبُّهَا. وَقَالَ عَطَاءٌ: كَانَ صَنَعَ لَهُمْ أَصْنَامًا صِغَارًا وَأَمَرَهُمْ بِعِبَادَتِهَا، فَقَالَ أَنَا رَبُّ أَصْنَامِكُمْ، وَقِيلَ: أَرَادَ الْقَادَةَ وَالسَّادَةَ، هُوَ رَبُّهُمْ، وَأُولَئِكَ هُمْ أَرْبَابُ السَّفَلَةِ.

[٢٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ أَيْ فِي الدُّنْيَا بِالْغَرَقِ وَفِي الآخرة بالنار، وَقِيلَ: الْآخِرَةُ قَوْلُهُ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ وَالْأُولَىٰ تَكْذِيبُهُ لِمُوسَىٰ. وَالنَّكَالُ: اسْمٌ لِمَا جُعِلَ نَكَالًا لِلْغَيْرِ أَيْ عُقُوبَةً لَهُ حَتَّىٰ يُعْتَبَرَ بِهِ. يُقَالُ: نَكَّلَ فُلَانٌ بِفُلَانٍ: إِذَا أَثْخَنَهُ عُقُوبَةً، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، ذَكَرَ أَحَدُهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ جِبْرِئِيلَ جَعَلَ يَدُسُّ فِي فِي فِرْعَوْنَ الطِّينَ، خَشْيَةَ أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَيَرْحَمَهُ اللهُ، أَوْ خَشْيَةَ أَنْ يَرْحَمَهُ.

[٢٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الَّذِي فُعِلَ بِفِرْعَوْنَ حِينَ كَذَّبَ وعصىٰ، ﴿لَعِبْرَةً﴾ عظة، ﴿لِمَنْ يَخْشَىٰ﴾ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ السَّعْدِيُّ: فَإِنَّ مَنْ يَخْشَىٰ اللهَ هُوَ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِالْآيَاتِ وَالْعِبَرِ، فَإِذَا رَأَىٰ عُقُوبَةَ فِرْعَوْنَ، عَرَفَ أَنَّ كُلَّ مَنْ تَكَبَّرَ وَعَصَىٰ، وَبَارَزَ الْمَلِكَ الْأَعْلَىٰ، عَاقَبَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَمَّا مَنْ تَرَحَّلَتْ خَشْيَةُ اللهِ مِنْ قَلْبِهِ، فَلَوْ جَاءَتْهُ كُلُّ آيَةٍ لَمْ يُؤْمِنْ بِهَا، ثُمَّ خَاطَبَ مُنْكِرِي الْبَعْثِ فَقَالَ:

[٢٧] : ﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾ يُرِيدُ أَهْلَ مَكَّةَ، أَيْ أَخَلْقُكُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ أَشَدُّ فِي تَقْدِيرِكُمْ أَمِ السَّماءُ فَمَنْ قَدَرَ عَلَىٰ السَّمَاءِ قَدَرَ عَلَىٰ الْإِعَادَةِ ؟ وَهُمَا فِي قُدْرَةِ اللهِ وَاحِدٌ، ثُمَّ وَصَفَ مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ ، فَقَالَ: ﴿بَنَاهَا﴾ أَيْ رَفَعَهَا فَوْقَكُمْ كَالْبِنَاءِ.

[٢٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ أَيْ أَعْلَىٰ سَقْفَهَا فِي الْهَوَاءِ، يُقَالُ: سَمَكْتُ الشَّيْءَ أَيْ رَفَعْتُهُ فِي الْهَوَاءِ، وَسَمَكَ الشَّيْءُ سُمُوكًا: ارْتَفَعَ ، ﴿فَسَوَّاهَا﴾ أَيْ خَلَقَهَا خَلْقًا مُسْتَوِيًا، لَا تَفَاوُتَ فِيهِ، وَلَا شُقُوقَ، وَلَا فُطُورَ.

[٢٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَغْطَشَ﴾ أظلم، ﴿لَيْلَهَا﴾ وَالْغَطْشُ وَالْغَبْشُ : الظُّلْمَةُ، غَطِشَ اللَّيْلُ وَأَغْطَشَهُ اللهُ، كَقَوْلِكَ: ظَلِمَ اللَّيْلُ وَأَظْلَمَهُ اللهُ ، ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ أَبْرَزَ وَأَظْهَرَ نَهَارَهَا وَنُورَهَا، وَأَضَافَهُمَا إِلَىٰ السَّمَاءِ ؛ لِأَنَّ الظُّلْمَةَ وَالنُّورَ كِلَاهُمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : وأضاف الضحا إِلَىٰ السَّمَاءِ كَمَا أَضَافَ إِلَيْهَا اللَّيْلَ، لِأَنَّ فِيهَا سَبَبَ الظَّلَامِ وَالضِّيَاءِ ، وَهُوَ غُرُوبُ الشَّمْسِ وَطُلُوعُهَا.

[٣٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ، ﴿دَحَاهَا﴾ بَسَطَهَا، وَالدَّحْوُ: الْبَسْطُ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: دَحَوْتُ الشَّيْءَ أَدْحُوهُ دَحْوًا: إِذَا بَسَطْتُهُ ، وَقِيلَ: دَحاها: حَرَثَهَا وَشَقَّهَا ، وَقِيلَ: دَحَاهَا مَهَّدَهَا لِلْأَقْوَاتِ، وَالْمَعْنَىٰ مُتَقَارِبٌ.

[٣١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ أَيِ الْعُيُونَ الْمُتَفَجِّرَةَ بِالْمَاءِ ، وَمَرْعاها أَيِ النَّبَاتَ الَّذِي يُرْعَىٰ، وَقَالَ الْقُتَبِيُّ: دَلَّ بِشَيْئَيْنِ عَلَىٰ جَمِيعِ مَا أَخْرَجَهُ مِنَ الْأَرْضِ قُوتًا وَمَتَاعًا لِلْأَنَامِ مِنَ الْعُشْبِ وَالشَّجَرِ وَالْحَبِّ وَالتَّمْرِ وَالْعَصْفِ وَالْحَطَبِ وَاللِّبَاسِ وَالنَّارِ وَالْمِلْحِ، لِأَنَّ النَّارَ مِنَ الْعِيدَانِ وَالْمِلْحَ مِنَ الْمَاءِ.

[٣٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ يَعْنِي: أَثْبَتَهَا فِيهَا أَوْتَادًا لها.

[٣٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ يْ مَنْفَعَةً لَكُمْ، وَلِأَنْعامِكُمْ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ.

[٣٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾ يَعْنِي النَّفْخَةَ الثَّانِيَةَ الَّتِي فِيهَا الْبَعْثُ وَقَامَتِ الْقِيَامَةُ، وَسُمِّيَتِ الْقِيَامَةُ طَامَّةً لِأَنَّهَا تَطُمُّ عَلَىٰ كُلِّ هَائِلَةٍ مِنَ الْأُمُورِ فَتَعْلُو فَوْقَهَا وتغمر ما سواها، والطامة عِنْدَ الْعَرَبِ: الدَّاهِيَةُ الَّتِي لَا تُسْتَطَاعُ. وَقَالَ الْقَاسِمُ بْنُ الْوَلِيدِ الْهَمْدَانِيُّ: الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ حِينَ يُسَاقُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ إِلَىٰ النَّارِ، وَهُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِ مُجَاهِدٍ: وَقَالَ سُفْيَانُ: هِيَ السَّاعَةُ الَّتِي يُسْلِمُ فِيهَا أَهْلُ النَّارِ إِلَىٰ الزَّبَانِيَةِ.

[٣٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ﴾ مَا عَمِلَ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

[٣٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَىٰ﴾ أَيْ ظَهَرَتْ، لِمَنْ يَرىٰ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُكْشَفُ عَنْهَا فَيَرَاهَا تَتَلَظَّىٰ كُلُّ ذِي بَصَرٍ، وقَالَ مُقَاتِلٌ: يُكْشَفُ عَنْهَا

الْغِطَاءُ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا الْخَلْقُ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ الْكَافِرُ لِأَنَّهُ الَّذِي يَرَىٰ النَّارَ بِمَا فِيهَا مِنْ أَصْنَافِ الْعَذَابِ.

[٣٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ﴾ أَيْ تَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي الْعِصْيَانِ والكفر، قَالَ حُذَيْفَةُ: أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ يُؤْثِرُوا مَا يَرَوْنَ عَلَىٰ مَا يَعْلَمُونَ.

[٣٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ عَلَىٰ الْآخِرَةِ.

[٣٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ أَيْ مَأْوَاهُ.

[٤٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ أَيْ حَذِرَ مَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ. وَقَالَ الرَّبِيعُ: مَقَامَهُ يَوْمَ الْحِسَابِ، وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ: إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَقَامًا قَدْ خَافَهُ الْمُؤْمِنُونَ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ خَوْفُهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ مُوَاقَعَةِ الذَّنْبِ، ﴿وَنَهَىٰ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ أَيْ زَجَرَهَا عَنِ الْمَعَاصِي وَالْمَحَارِمِ. وَقَالَ سَهْلٌ: تَرْكُ الْهَوَىٰ مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ، لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَىٰ النَّفْسَ عَنِ الْهَوىٰ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: أَنْتُمْ فِي زَمَانٍ يَقُودُ الْحَقُّ الْهَوَىٰ، وَسَيَأْتِي زَمَانٌ يَقُودُ الْهَوَىٰ الْحَقَّ فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ الزَّمَانِ.

[٤١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ أَيِ الْمَنْزِلُ.

[٤٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ مَتَىٰ ظُهُورُهَا وَثُبُوتُهَا، وَمَعْنَىٰ مُرْساها أَيْ قِيَامُهَا، قَالَ الْفَرَّاءُ: رُسُوُّهَا قِيَامُهَا كَرُسُوِّ السَّفِينَةِ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: أَيْ مُنْتَهَاهَا، وَمَرْسَىٰ السَّفِينَةِ حَيْثُ، تَنْتَهِي.

[٤٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ لَسْتَ فِي شَيْءٍ مِنْ عِلْمِهَا وَذِكْرِهَا، أَيْ لَا تَعْلَمُهَا.

[٤٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ أَيْ مُنْتَهَىٰ عِلْمِهَا عِنْدَ اللهِ.

[٤٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾ أَيْ إِنَّمَا يَنْفَعُ إِنْذَارُكَ مَنْ يخافها، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : وَخَصَّ الْإِنْذَارَ بِمَنْ يَخْشَىٰ، لِأَنَّهُمُ الْمُنْتَفِعُونَ بِهِ، وَإِنْ كَانَ مُنْذِرًا لِكُلِّ مُكَلَّفٍ.

[٤٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ يَعْنِي كُفَّارَ قُرَيْشٍ، ﴿يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ يُعَايِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾ فِي الدُّنْيَا وَقِيلَ: فِي قُبُورِهِمْ، ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ مَعْنَاهُ آخِرَ يَوْمٍ أَوْ أَوَّلَهُ ، وَالْمُرَادُ تَقْلِيلُ مُدَّةِ الدُّنْيَا، قَالَ الْفَرَّاءُ: يَقُولُ الْقَائِلُ: وَهَلْ لِلْعَشِيَّةِ ضُحًا؟ وَإِنَّمَا الضُّحَا لِصَدْرِ النَّهَارِ، وَلَكِنْ أُضِيفَ الضُّحَىٰ إِلَىٰ الْعَشِيَّةِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ عَلَىٰ عَادَةِ الْعَرَبِ، يَقُولُونَ: آتِيكَ الْغَدَاةَ أَوْ عَشِيَّتَهَا، وَآتِيكَ الْعَشِيَّةَ أَوْ غَدَاتَهَا، فَتَكُونُ الْعَشِيَّةُ فِي مَعْنَىٰ آخِرِ النَّهَارِ، وَالْغَدَاةُ فِي مَعْنَىٰ أَوَّلِ النَّهَارِ.

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّازِعَاتِ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ

سُورَةُ عَبَسَ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِالِاتِّفَاقِ وَفِي سَبَبِ نُزُولِهَا فَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو يَعْلَىٰ فِي الْمُسْنَدِ، بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: جَاءَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُكَلِّمُ أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ . أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾، فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ يُكْرِمُهُ، قَالَ قَتَادَةُ: وَأَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: رَأَيْتُهُ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ وَمَعَهُ رَايَةٌ سَوْدَاءُ، يَعْنِي ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ.

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿عَبَسَ﴾ أيْ كَلَحَ بِوَجْهِهِ، يُقَالُ: عَبَسَ وَبَسَرَ، ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ أَعْرَضَ بِوَجْهِهِ .

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾ وَهُوَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَاسْمُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ شُرَيْحٍ الْفِهْرِيُّ.

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ﴾ يَتَطَهَّرَ مِنَ الذُّنُوبِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وما يتعلمه منك ، وَزَوَالِ ظُلْمَةِ الْجَهْلِ عَنْهُ.

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ يتعظ، ﴿فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ أَيْ: أَوْ يَعْتَبِرُ وَيَتَّعِظُ فَيَنْفَعُهُ الِاتِّعَاظُ وَالِاعْتِبَارُ، وَيَشُدُّ ذَلِكَ مِنْ عَزِيمَتِهِ لِيَثْبُتَ عَلَىٰ سَبِيلِ الْأَخْيَارِ.

[٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ﴾ أَيْ كَانَ ذَا ثَرْوَةٍ وَغِنًى، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: عَنِ اللهِ وَعَنِ الْإِيمَانِ بِمَا لَهُ مِنَ المال.

[٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ﴾ تَتَعَرَّضُ لَهُ وَتُقْبِلُ عَلَيْهِ وَتُصْغِي إِلَىٰ كَلَامِهِ، التَّصَدِّي: الْإِصْغَاءُ، وَأَصْلُهُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مِنَ الصَّدَدِ: الْقُرْبِ، يُقَالُ: دَارِي صَدَدَ دَارِهِ أَيْ قُبَالَتَهَا، وَهُوَ نَصْبٌ عَلَىٰ الظَّرْفِ، وَالْمَقْصُودُ: إِنَّكَ تُقْبِلُ - يَا مُحَمَّدُ - عَلَيْهِ بِوَجْهِكَ وَحَدِيثِكَ، وَهُوَ يُظْهِرُ الِاسْتِغْنَاءَ عَنْكَ وَالْإِعْرَاضَ عَمَّا جِئْتَ بِهِ، غَرَّهُ مَالُهُ وَجَاهُهُ وَسُلْطَانُهُ.

[٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ أَيْ لَا يَهْتَدِي هَذَا الْكَافِرُ وَلَا يُؤْمِنُ، إِنَّمَا أَنْتَ رَسُولٌ، مَا عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ.

[٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ﴾ يَمْشِي يَعْنِي ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ.

[٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ أَيْ يَخَافُ اللهَ، أَيْ تُعْرِضُ عَنْهُ بِوَجْهِكَ وَتُشْغَلُ بِغَيْرِهِ، وَأَصْلُهُ تَتَلَهَّىٰ، يُقَالُ: لَهِيتُ عَنِ الشَّيْءِ أَلْهَىٰ: أَيْ تَشَاغَلْتُ عَنْهُ، وَالتَّلَهِّي: التَّغَافُلُ.

[١٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ تَتَشَاغَلُ وَتُعْرِضُ عَنْهُ.

[١١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا﴾ زَجْرٌ أَيْ لَا تَفْعَلْ بَعْدَهَا مثلها، ﴿إِنَّهَا﴾ يعني هذه الموعظة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ مَوْعِظَةٌ وَتَذْكِيرٌ لِلْخَلْقِ.

[١٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ من عباد الله ﴿ذَكَرَهُ﴾ أي اتعظ به، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : أي هذه الْوَصِيَّةُ بِالْمُسَاوَاةِ بَيْنَ النَّاسِ، فِي إِبْلَاغِ الْعِلْمِ بين شريفهم ووضيعهم ، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ جَلَالَتِهِ عِنْدَهُ فقال:

[١٣] : ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ﴾ يَعْنِي اللَّوْحَ الْمَحْفُوظَ. وَقِيلَ: كُتُبُ الأنبياء، لما فيها من العلم والحكمة.

[١٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ رَفِيعَةِ الْقَدْرِ عِنْدَ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَقِيلَ: مَرْفُوعَةٍ يَعْنِي فِي السماء السابعة، ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾ لَا يَمَسُّهَا إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، وَهُمُ الملائكة ، وقيل: مصانة عن أن ينالها الكفار.

[١٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ: كَتَبَةٌ، وهم الملائكة الكرام الكاتبون ، وَقَالَ الْآخَرُونَ: هُمُ الرُّسُلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَاحِدُهُمْ سَفِيرٌ، وَهُوَ الرَّسُولُ، وَسَفِيرُ الْقَوْمِ الَّذِي يَسْعَىٰ بَيْنَهُمْ بالصلح، ثُمَّ أَثْنَىٰ عَلَيْهِمْ فَقَالَ:

[١٦] : ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ أَيْ كِرَامٍ عَلَىٰ اللهِ بَرَرَةٍ مُطِيعِينَ جَمْعُ بَارٍّ، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ وَالْمُسْنَدِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ ، مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ ، فَلَهُ أَجْرَانِ**»[١].

---

(١) البخاري (٤٩٣٧) ومسلم (٧٩٨) .

[١٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ﴾ أي لعن الكافر ، قال مجاهد : مَا كَانَ فِي الْقُرْآنِ قُتِلَ الْإِنْسانُ فَإِنَّمَا عُنِيَ بِهِ الْكَافِرُ، ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ ما أشد كفره مَعَ كَثْرَةِ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِ وَأَيَادِيهِ عنده، علىٰ طريق التعجب، قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: أَيْ مَا أَشَدَّ كُفْرَهُ! ثم تبين مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ يَنْبَغِي مَعَهُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ خَالِقُهُ، فَقَالَ:

[١٨] : ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ لَفْظُهُ اسْتِفْهَامٌ وَمَعْنَاهُ التَّقْرِيرُ: أَيْ مِنْ أَيِّ شي خَلَقَ اللهُ هَذَا الْكَافِرَ فَيَتَكَبَّرَ؟ أَيِ اعْجَبُوا لِخَلْقِهِ ، ثُمَّ فَسَّرَهُ فَقَالَ:

[١٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ أطوار: نُطْفَةً ثُمَّ عَلَقَةً إِلَىٰ آخِرِ خلقه. فَقَدَّرَهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيْ قَدَّرَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَعَيْنَيْهِ وَسَائِرَ آرَابِهِ، وَحَسَنًا وَدَمِيمًا، وَقَصِيرًا وَطَوِيلًا، وَشَقِيًّا وَسَعِيدًا، قَالَ الْحَسَنُ البصري : كَيْفَ يَتَكَبَّرُ مَنْ خَرَجَ مِنْ سَبِيلِ الْبَوْلِ مَرَّتَيْنِ.

[٢٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ أَيْ طَرِيقَ خُرُوجِهِ مِنْ بَطْنِ أمه، وقال الحسن وَمُجَاهِدٌ: يَعْنِي طَرِيقَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ سهل له العلم به: وَقِيلَ: يَسَّرَ عَلَىٰ كُلِّ أَحَدٍ ما خلقه له وقدر عليه.

[٢١] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ جَعَلَ لَهُ قَبْرًا يُوَارَىٰ فِيهِ.

[٢٢] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ أَحْيَاهُ بَعْدَ مَوْتِهِ.

[٢٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا﴾ رد عَلَيْهِ أَيْ لَيْسَ كَمَا يَقُولُ ويظن هذا الكافر، ﴿لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ أَيْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ به ربه وَلَمْ يُؤَدِّ مَا فُرِضَ عَلَيْهِ، قَالَ

مُجَاهِدٌ: لَمَّا يَقْضِ: لَا يَقْضِي أَحَدٌ مَا أُمِرَ بِهِ، وَقَالَ الْحَسَنُ البصري : أَيْ حَقًّا لَمْ يَقْضِ: أَيْ لَمْ يَعْمَلْ بِمَا أُمِرَ به، وَلَمَّا ذَكَرَ خَلْقَ ابْنِ آدَمَ ذَكَرَ رِزْقَهُ لِيَعْتَبِرَ، فَقَالَ:

[٢٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾ كَيْفَ قَدَّرَهُ رَبُّهُ وَدَبَّرَهُ لَهُ وَجَعَلَهُ سَبَبًا لِحَيَاتِهِ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : أَيْ لِيَتَدَبَّرْ كَيْفَ خَلَقَ اللهُ طَعَامَهُ الَّذِي هُوَ قِوَامُ حَيَاتِهِ، وَكَيْفَ هَيَّأَ لَهُ أَسْبَابَ الْمَعَاشِ، لِيَسْتَعِدَّ بِهَا لِلْمَعَادِ، ثُمَّ بَيَّنَ فَقَالَ:

[٢٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ يَعْنِي الْمَطَرَ، صَبَبْنَا الْماءَ صَبًّا: يَعْنِي الْغَيْثَ وَالْأَمْطَارَ.

[٢٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ بالنبات.

[٢٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ يَعْنِي الْحُبُوبَ الَّتِي يُتَغَذَّىٰ بِهَا، وَسَائِرَ مَا يُحْصَدُ وَيُدَّخَرُ .

[٢٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ وَهُوَ الْقَتُّ : (يعني الجت مثل ما نقزل بالعراقي) الرَّطْبُ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يُقْضَبُ فِي كُلِّ الْأَيَّامِ أي يقطع ، قال الْحَسَن البصري : سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يُقْضَبُ أَيْ يُقْطَعُ بَعْدَ ظُهُورِهِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ.

[٢٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَزَيْتُونًا﴾ وَهُوَ مَا يُعْصَرُ مِنْهُ الزَّيْتُ، ﴿وَنَخْلًا﴾ جمع نخلة.

[٣٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ غِلَاظًا، وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَمُقَاتِلٌ: الْغُلْبُ الشَّجَرُ الْمُلْتَفَّةُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : غُلْبًا عِظَامًا شَجَرُهَا، يُقَالُ: شَجَرَةٌ غَلْبَاءُ، وَيُقَالُ لِلْأَسَدِ: الْأَغْلَبُ، لِأَنَّهُ مُصْمَتُ الْعُنُقِ، لَا يُلْتَفَتُ إِلَّا جَمِيعًا،

قال الكلبي: وكل شي أُحِيطَ عَلَيْهِ مِنْ نَخِيلٍ أَوْ شَجَرٍ فَهُوَ حَدِيقَةٌ، وَمَا لَمْ يُحَطْ عَلَيْهِ فَلَيْسَ بِحَدِيقَةٍ.

[٣١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَفَاكِهَةً﴾ يريد ألوان الفواكه، ﴿وَأَبًّا﴾ يَعْنِي الْكَلَأَ وَالْمَرْعَىٰ الَّذِي لَمْ يَزْرَعْهُ النَّاسُ، مِمَّا يَأْكُلُهُ الْأَنْعَامُ وَالدَّوَابُّ، قَالَ عِكْرِمَةُ: الْفَاكِهَةُ مَا يأكل الناس، والأب ما يأكله الدواب، وَقال الْحَسَنُ البصري : الْأَبُّ: كُلُّ مَا أَنْبَتَتِ الْأَرْضُ، مِمَّا لَا يَأْكُلُهُ النَّاسُ، مَا يَأْكُلُهُ الْآدَمِيُّونَ هُوَ الْحَصِيدُ.

[٣٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ﴾ مَنْفَعَةً لَكُمْ يَعْنِي الْفَاكِهَةَ، وَالْمَتَاعُ فِي اللغة: مَا يُتَمَتَّعُ بِهِ، وَالتَّمَتُّعُ: انْتِفَاعٌ بِمَا يَلَذُّ وَيَسُرُّ﴿وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ يَعْنِي الْعُشْبَ، وَيَتَضَمَّنُ امْتِنَانًا عَلَيْهِمْ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ، ثُمَّ ذَكَرَ الْقِيَامَةَ فقال:

[٣٣] :﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ يَعْنِي صَيْحَةَ الْقِيَامَةِ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَصُخُّ الْأَسْمَاعَ أَيْ تُبَالِغُ فِي أسماعها حَتَّىٰ تَكَادَ تُصِمُّهَا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿الصَّاخَّةُ﴾: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْقِيَامَةِ، عَظَّمَهُ اللهُ، وَحَذَّرَهُ عِبَادَهُ.

[٣٤-٣٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ﴾ يعني زوجته التي كانت في الدنيا ﴿وَبَنِيهِ﴾ أيْ يهرب، أي تجيء الصَّاخَّةُ فِي هَذَا الْيَوْمِ الَّذِي يَهْرُبُ فِيهِ مِنْ أَخِيهِ، أَيْ مِنْ مُوَالَاةِ أَخِيهِ وَمُكَالَمَتِهِ، لِأَنَّهُ لَا يَتَفَرَّغُ لِذَلِكَ، لِاشْتِغَالِهِ بِنَفْسِهِ، كَمَا قَالَ بَعْدَهُ

[٣٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ يَشْغَلُهُ عَنْ شَأْنِ غَيْرِهِ ، قَالَ قَتَادَةُ : أَفْضَىٰ إِلَىٰ كُلِّ إِنْسَانٍ مَا يَشْغَلُهُ عَنِ النَّاسِ .

[٣٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾ مُشْرِقَةٌ مُضِيئَةٌ ، وَهِيَ وُجُوهُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ نَالُوا رِضْوَانَ اللهِ ، وَفِي لُغَةِ الْعَرَبِ: أَسْفَرَ وَجْهُ فُلَانٍ: إِذَا حَسُنَ وَأَشْرَقَ، وَأَسْفَرَ الصُّبْحُ: إِذَا أَضَاءَ.

[٣٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ضَاحِكَةٌ﴾ بالسرور، ﴿مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ فَرِحَةٌ بِمَا نَالَتْ مِنْ كَرَامَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

[٤٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ سَوَادٌ وَكَآبَةٌ مِمَّا يُشَاهِدُونَهُ مِنَ الْغَمِّ وَالْهَمِّ.

[٤١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ تَعْلُوهَا وَتَغْشَاهَا ظُلْمَةٌ وَكُسُوفٌ ، فَالْقَتَرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْغُبَارُ ، قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: الْقَتَرَةُ: مَا ارْتَفَعَتْ إِلَىٰ السَّمَاءِ. وَالْغَبَرَةُ: مَا انْحَطَّتْ إِلَىٰ الْأَرْضِ، وَالْغُبَارُ وَالْغَبَرَةُ: وَاحِدٌ.

[٤٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أُولَئِكَ﴾ الَّذِينَ يُصْنَعُ بِهِمْ هَذَا، ﴿هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ جَمْعُ الْكَافِرِ وَالْفَاجِرِ.

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ عَبَسَ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ

سُورَةُ التَّكْوِيرِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِالِاتِّفَاقِ ، وَفِي صحيح التِّرمِذِيِّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ**»(١).

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ أصل التَّكْوِيرِ جَمْعُ بَعْضِ الشَّيْءِ إِلَىٰ بَعْضٍ، فَمَعْنَاهُ أَنَّ الشَّمْسَ يُجْمَعُ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ ثُمَّ تُلَفُّ، فَإِذَا فُعِلَ بِهَا ذَلِكَ ذَهَبَ ضوؤها ، فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « **الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُكَوَّرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٢) .

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ أَيْ تَنَاثَرَتْ مِنَ السَّمَاءِ وَتَسَاقَطَتْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: انْكَدَرَتْ تَغَيَّرَتْ فَلَمْ يَبْقَ لَهَا ضَوْءٌ لِزَوَالِهَا عَنْ

---

(١) أحمد (٤٧٩٢) .

(٢) البخاري (٣٢٠٠) .

أَمَاكِنِهَا ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ انْكِدَارُهَا طَمْسَ آثَارِهَا ، وَسُمِّيَتِ النُّجُومُ نُجُومًا لِظُهُورِهَا فِي السَّمَاءِ بِضَوْئِهَا.

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ فَصَارَتْ هَبَاءً منبثا.

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ ﴾ وَهِيَ النُّوقُ الْحَوَامِلُ الَّتِي أَتَىٰ عَلَىٰ حَمْلِهَا عَشَرَةُ أَشْهُرٍ، وَاحِدَتُهَا عشراء لِمَا جَاءَهُمْ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ القيامة ﴿عُطِّلَتْ﴾ قال: سُيِّبَت، تُرِكَتْ، أَيْ تُرِكَتْ هَمَلًا بِلَا رَاعٍ، وَذَلِكَ لِمَا شَاهَدُوا مِنَ الْهَوْلِ الْعَظِيمِ، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: سَيَّبَهَا أَهْلُهَا فَلَمْ تُصَرَّ، وَلَمْ تُحْلَبْ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا مَالٌ أَعْجَبَ إِلَيْهِمْ مِنْهَا.

[٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ﴾ يعني دواب البر، ﴿حُشِرَتْ﴾ جُمِعَتْ بَعْدَ الْبَعْثِ لِيُقْتَصَّ لِبَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: حَشْرُ الْبَهَائِمِ: مَوْتُهَا، وَحَشْرُ كُلِّ شَيْءٍ: الْمَوْتُ، غَيْرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، فَإِنَّهُمَا يُوقَفَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

[٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أُوقِدَتْ فَصَارَتْ نَارًا تَضْطَرِمُ ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَمُقَاتِلٌ: يَعْنِي فُجِّرَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ الْعَذْبُ وَالْمِلْحُ، فَصَارَتِ الْبُحُورُ كُلُّهَا بحرا واحداً ، وَقِيلَ: صَارَتْ مِيَاهُهَا بَحْرًا وَاحِدًا مِنَ الْحَمِيمِ لِأَهْلِ النَّارِ ، والسَّجُور: ما يُسْجَرُ به التَّنُّور، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ ، قَوْلُهُ:

[٧] : ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ يُقْرَنُ بَيْنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مَعَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، وَيُقْرَنُ بَيْنَ الرَّجُلِ السُّوءِ مَعَ الرَّجُلِ السوء في النار، وهذا قَوْلِ عِكْرِمَةَ وَقَالَ الْحَسَنُ البصري: أُلْحِقَ كُلُّ امْرِئٍ بِشِيعَتِهِ، الْيَهُودِيُّ باليهودي والنصراني بالنصراني، وَقَالَ عَطَاءٌ وَمُقَاتِلٌ: زُوِّجَتْ نُفُوسُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحُورِ الْعِينِ، وَقُرِنَتْ نُفُوسُ الْكَافِرِينَ بِالشَّيَاطِينِ، وسُئِل عُمَر رضي الله عنه عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ فَقَال: يُقْرَنُ بَيْنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مَعَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ، وَيُقْرَنُ بَيْنَ الرَّجُلِ السَّوْءِ مَعَ الرَّجُلِ السَّوْءِ فِي النَّارِ، فَذَلِكَ تَزْوِيجُ الْأَنْفُسِ.

[٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ وَهِيَ الْجَارِيَةُ الْمَدْفُونَةُ حَيَّةً.

[٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ وَمَعْنَىٰ سُؤَالِهَا تَوْبِيخُ قَاتِلِهَا ؛ لِأَنَّهَا تقول: قُتِلَتْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ، قَالَ قَتَادَةُ: كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمُ ابْنَتَهُ، وَيَغْذُو كَلْبَهُ، فَعَابَ اللهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ.

[١٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ يَعْنِي صَحَائِفَ الْأَعْمَالِ تُنْتَشَرُ لِلْحِسَابِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: صَحِيفَتُكَ يَا ابْنَ آدَمَ، تُمْلِي فِيهَا، ثُمَّ تُطْوَىٰ، ثُمَّ تُنْشَرُ عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلْيَنْظُرْ رَجُلٌ مَاذَا يُمْلِي فِي صَحِيفَتِهِ.

[١١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ قَالَ الْفَرَّاءُ: نُزِعَتْ فَطُوِيَتْ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: قُلِعَتْ كَمَا يُقْلَعُ السَّقْفُ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: تَكْشِفُ عَمَّنْ فِيهَا، وَمَعْنَىٰ الْكَشْطِ رَفْعُكَ شَيْئًا عَنْ شَيْءٍ قَدْ غَطَّاهُ كَمَا يُكْشَطُ الْجِلْدُ عَنِ السَّنَامِ.

[١٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ أَيْ أُوقِدَتْ فَأُضْرِمَتْ لِلْكُفَّارِ وَزِيدَ فِي إِحْمَائِهَا، يُقَالُ: سَعَّرْتُ النَّارَ وَأَسْعَرْتُهَا، قَالَ قَتَادَةُ: سَعَّرَهَا غَضَبُ اللهِ وَخَطَايَا بَنِي آدَمَ.

[١٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ قُرِّبَتْ لِأَوْلِيَاءِ اللهِ ، قَالَ الْحَسَنُ: إِنَّهُمْ يُقَرَّبُونَ مِنْهَا، لَا أَنَّهَا تَزُولُ عَنْ مَوْضِعِهَا، الزُّلْفَىٰ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْقُرْبَةُ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء: ٩٠].

[١٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿عَلِمَتْ﴾ عند ذلك كل ﴿نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ يَعْنِي مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ، وَهَذَا جَوَابُ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَمَا بَعْدَهَا ، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِهَذَا أجرىٰ الحديث.

[١٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ وَالْخُنَّسُ: هِيَ النُّجُومُ تَخْنِسُ بِالنَّهَارِ فَتَخْتَفِي تَحْتَ ضَوْءِ الشَّمْسِ وَلَا تُرَىٰ، قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هِيَ النُّجُومُ تَخْنِسُ بِالنَّهَارِ، وَتَظْهَرُ بِاللَّيْلِ.

[١٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ تَخْتَفِي فِي وَقْتِ غُرُوبِهَا ، قَالَ قَتَادَةُ: هِيَ النُّجُومُ تَبْدُو بِاللَّيْلِ وَتَخْنَسُ بِالنَّهَارِ، فَتُخْفَىٰ فَلَا ترىٰ، قَالَ بَعْضُ الْأَئِمَّةِ: إِنَّمَا قِيلَ لِلنُّجُومِ الْخُنَّسُ، أَيْ فِي حَالِ طُلُوعِهَا، ثُمَّ هِيَ جِوَارٌ فِي فَلَكِهَا، وَفِي حَالِ غَيْبُوبَتِهَا يُقَالُ لَهَا كُنَّسٌ، مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: أَوَىٰ الظَّبْيُ إِلَىٰ كناسه، إذا تغيب فيه.

[١٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ قَالَ الْحَسَنُ: أَقْبَلَ بِظَلَامِهِ ، قَالَ الْفَرَّاءُ: أَجْمَعَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ عَسْعَسَ أَدْبَرَ، تَقُولُ الْعَرَبُ: عَسْعَسَ اللَّيْلُ وَسَعْسَعَ إِذَا أَدْبَرَ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا الْيَسِيرُ.

[١٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أَقْبَلَ وَبَدَا أَوَّلُهُ وَقِيلَ امْتَدَّ ضوؤه وارتفع. وَقِيلَ: إِذا تَنَفَّسَ أَي انْشَقَّ وَانْفَلَقَ.

[١٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُ﴾ يَعْنِي الْقُرْآنَ، ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يَعْنِي جِبْرِيلَ أَيْ نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ .

[٢٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ فِي الْمَنْزِلَةِ ، قَالَ السَّعْدِيُّ: أَيْ: لَهُ مَكَانَةٌ وَمَنْزِلَةٌ فَوْقَ مَنَازِلِ الْمَلَائِكَةِ كُلِّهِمْ.

[٢١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ أَيْ فِي السَّمَاوَاتِ تُطِيعُهُ الْمَلَائِكَةُ وَمِنْ طَاعَةِ الْمَلَائِكَةِ إِيَّاهُ أَنَّهُمْ فَتَحُوا أَبْوَابَ السَّمَاوَاتِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ بِقَوْلِهِ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفَتَحَ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ أَبْوَابَهَا بِقَوْلِهِ، (أَمِينٍ) عَلَىٰ وَحْيِ اللهِ وَرِسَالَتِهِ إِلَىٰ أَنْبِيَائِهِ.

[٢٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ يَقُولُ لِأَهْلِ مَكَّةَ وَمَا صَاحِبُكُمْ يَعْنِي مُحَمَّدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَجْنُونٍ ، وَهَذَا أَيْضًا مِنْ جَوَابِ الْقَسَمِ أَقْسَمَ عَلَىٰ أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا لَيْسَ كَمَا يَقُولُهُ أَهْلُ مَكَّةَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّهُ مَجْنُونٌ، وَمَا يَقُولُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ.

[٢٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ يَعْنِي رَأَىٰ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ صورته، ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ وَهُوَ الْأُفُقُ الْأَعْلَىٰ مِنْ نَاحِيَةِ المشرق ، والأفق المبين: أي البيِّن ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: لِأَنَّ هَذَا الْأُفُقَ إِذَا كَانَ مِنْهُ تَطْلُعُ الشَّمْسُ فَهُوَ مُبِينٌ. أَيْ مِنْ جِهَتِهِ تُرَىٰ الْأَشْيَاءُ.

[٢٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا هُوَ﴾ يَعْنِي مُحَمَّدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿عَلَىٰ الْغَيْبِ﴾ أَيِ الْوَحْيِ، وَخَبَرِ السَّمَاءِ وَمَا اطَّلَعَ عَلَيْهِ مِمَّا كَانَ غَائِبًا عَنْهُ مِنَ الْأَنْبَاءِ وَالْقَصَصِ، ﴿بِضَنِينٍ﴾ الضَّنِينُ: الْبَخِيلُ ، وَالْمَقْصُودُ مَا سَبَقَ، إِنَّهُ غَيْرُ بَخِيلٍ عَلَيْهِمْ بِتَعْلِيمِهِمْ مَا عَلَّمَهُ اللهُ مِنَ الْوَحْيِ وَأَحْكَامِ الشَّرْعِ، فهو يَأْتِيهِ عِلْمُ الْغَيْبِ فَلَا يبخل به عليهم بَلْ يُعَلِّمُكُمْ وَيُخْبِرُكُمْ بِهِ، وَلَا يَكْتُمُهُ كَمَا يَكْتُمُ الْكَاهِنُ مَا عِنْدَهُ حَتَّىٰ يَأْخُذَ عَلَيْهِ حُلْوَانًا.

[٢٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا هُوَ﴾ يَعْنِي الْقُرْآنَ، ﴿بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ قَالَ الْكَلْبِيُّ: يَقُولُ إِنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ بِشِعْرٍ وَلَا كَهَانَةٍ كَمَا قَالَتْ قُرَيْشٌ، قَالَ قَتَادَةُ: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ غَيْبٌ، فَأَعْطَاهُ اللهُ مُحَمَّدًا، فَبَذَلَهُ وَعَلَّمَهُ وَدَعَا إِلَيْهِ، وَاللهِ مَا ضَنَّ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[٢٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ أَيْ أَيْنَ تَعْدِلُونَ عَنْ هَذَا الْقُرْآنِ، وَفِيهِ الشِّفَاءُ وَالْبَيَانُ، قَالَ الزَّجَّاجُ: أَيُّ طَرِيقٍ تَسْلُكُونَ أَبْيَنُ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي قَدْ بَيَّنْتُ لَكُمْ، ثُمَّ بَيَّنَ فَقَالَ:

[٢٧] : ﴿إِنْ هُوَ﴾ أَيْ مَا الْقُرْآنُ، ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ مَوْعِظَةٌ لِلْخَلْقِ أَجْمَعِينَ.

[٢٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ أَيْ يَتْبَعَ الْحَقَّ وَيُقِيمَ عَلَيْهِ، قَالَ الطَّبَرِيُّ: مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ مَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ عَلَىٰ سَبِيلِ الْحَقِّ فَيَتَّبِعَهُ وَيُؤْمِنَ بِهِ.

[٢٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أَيْ أَعْلَمَهُمْ أَنَّ الْمَشِيئَةَ فِي التَّوْفِيقِ إِلَيْهِ وَأَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ ذَلِكَ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ وَفِيهِ إِعْلَامٌ أَنَّ أَحَدًا لَا يَعْمَلُ خَيْرًا إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللهِ وَلَا شَرًّا إِلَّا بِخِذْلَانِهِ. ، قَالَ سفيان الثوري: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ قَالَ أَبُو جَهْلٍ: الْأَمْرُ إِلَيْنَا إِنْ شِئْنَا اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ شِئْنَا لَمْ نَسْتَقِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ التَّكْوِيرِ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ

سُورَةُ الِانْفِطَارِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِالِاتِّفَاقِ ، وَفِي صحيح التِّرْمِذِيِّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ**»[1].

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ أَيْ تَشَقَّقَتْ بِأَمْرِ اللهِ، لِنُزُولِ الْمَلَائِكَةِ، كَقَوْلِهِ: وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالْغَمامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنْزِيلًا، وَقِيلَ: تَفَطَّرَتْ لِهَيْبَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَالْفَطْرُ: الشَّقُّ، يُقَالُ: فَطَرْتُهُ فَانْفَطَرَ، وَمِنْهُ فَطَرَ نَابُ الْبَعِيرِ: طَلَعَ، فَهُوَ بَعِيرٌ فَاطِرٌ، وَتَفَطَّرَ الشَّيْءُ: شُقِّقَ .

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ تساقطتن نَثَرْتُ الشَّيْءَ أَنْثُرُهُ نَثْرًا، فَانْتَثَرَ.

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ فُجِّرَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، وَاخْتَلَطَ الْعَذْبُ بِالْمِلْحُ فَصَارَتْ بَحْرًا وَاحِدًا ، قَالَ الْحَسَنُ البصري : فُجِّرَتْ: ذَهَبَ

---

(١) أحمد (٤٧٩٦) .

مَاؤُهَا وَيَبِسَتْ، وَذَلِكَ أَنَّهَا أَوَّلًا رَاكِدَةٌ مُجْتَمِعَةٌ، فَإِذَا فُجِّرَت تَفَرَّقَتْ، فَذَهَبَ مَاؤُهَا.

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ بحثت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتىٰ أحياء، قال السُّدّي: تُبَعْثَر: تُحَرَّكُ فيخرج مَنْ فيها، يُقَالُ: بَعْثَرْتُ الْمَتَاعَ: قَلَّبْتُهُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ، وَبَعْثَرْتُ الْحَوْضَ وَبَحْثَرْتُهُ: إِذَا هَدَمْتُهُ وَجَعَلْتُ أَسْفَلَهُ أَعْلَاهُ.

[٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ قِيلَ: مَا قَدَّمَتْ مِنْ عَمَلٍ صالح أو سيئ، وما أَخَّرَتْ مِنْ سُنَّةٍ حَسَنَةٍ أَوْ سَيِّئَةٍ، وَقِيلَ: مَا قَدَّمَتْ مِنَ الصَّدَقَاتِ وَأَخَّرَتْ مِنَ التَّرِكَاتِ، قَالَ السَّعْدِيُّ: حِينَئِذٍ يَنْكَشِفُ الْغِطَاءُ، وَيَزُولُ مَا كَانَ خَفِيًّا، وَتَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَا مَعَهَا مِنَ الْأَرْبَاحِ وَالْخُسْرَانِ، هُنَالِكَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ إِذَا رَأَىٰ أَعْمَالَهُ بَاطِلَةً، وَمِيزَانُهُ قَدْ خَفَّ، وَالْمَظَالِمُ قَدْ تَدَاعَتْ إِلَيْهِ، وَالسَّيِّئَاتُ قَدْ حَضَرَتْ لَدَيْهِ، وَأَيْقَنَ بِالشَّقَاءِ الْأَبَدِيِّ وَالْعَذَابِ السَّرْمَدِيِّ، وَهُنَالِكَ يَفُوزُ الْمُتَّقُونَ الْمُقَدِّمُونَ لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ بِالْفَوْزِ الْعَظِيمِ، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَالسَّلَامَةِ مِنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ.

[٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ مَا خَدَعَكَ وَسَوَّلَ لَكَ الْبَاطِلَ حَتَّىٰ أَضَعْتَ مَا وَجَبَ عَلَيْكَ، والمعنىٰ: ماذا أمنك من عقابه؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْإِنْسَانُ هُنَا: الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَعن يحيىٰ البكاء قال: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ قال ابْنُ عُمَرَ

ﭭ : غَرَّهُ وَاللهِ جَهْلُهُ ، وقَالَ قَتَادَةُ: غَرَّهُ شَيْطَانُهُ الْمُسَلَّطُ عَلَيْهِ ، قَالَ الْحَسَنُ: غَرَّهُ شَيْطَانُهُ الْخَبِيثُ، وقال إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْعَثِ: قِيلَ: لِلْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ: لَوْ أَقَامَكَ اللهُ تعالىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَكَ: مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ؟ مَاذَا كُنْتَ تَقُولُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُولُ غَرَّنِي سُتُورُكَ الْمُرْخَاةِ، لِأَنَّ الْكَرِيمَ هُوَ السَّتَّارُ.

[٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ أَيْ قَدَّرَ خَلْقَكَ مِنْ نُطْفَةٍ ﴿فَسَوَّاكَ﴾ فِي بَطْنِ أُمِّكَ، وَجَعَلَ لَكَ يَدَيْنِ وَرِجْلَيْنِ وَعَيْنَيْنِ وَسَائِرَ أَعْضَائِكَ ﴿فَعَدَلَكَ﴾ أَيْ قَوَّمَكَ وَجَعَلَكَ مُعْتَدِلَ الْخَلْقِ وَالْأَعْضَاءِ.

[٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: فِي أَيِّ شَبَهٍ مِنْ أَبٍ أَوْ أُمٍّ أَوْ عَمٍّ، وَذَكَرَ الْفَرَّاءُ قَوْلًا آخَرَ، إِمَّا طَوِيلًا أَوْ قَصِيرًا أَوْ حَسَنًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ.

[٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ بِالْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ ، قَالَ قَتَادَةُ: يَوْمُ شِدَّةٍ، يَوْمٌ يَدِينُ اللهُ الْعِبَادَ بِأَعْمَالِهِمْ .

[١٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ رُقَبَاءَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْفَظُونَ عَلَيْكُمْ أعمالكم.

[١١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿كِرَامًا﴾ على الله، ﴿كَاتِبِينَ﴾ يَكْتُبُونَ أَقْوَالَكُمْ وَأَعْمَالَكُمْ.

[١٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، سُئِلَ سُفْيَانُ: كَيْفَ تَعْلَمُ الْمَلَائِكَةُ أَنَّ الْعَبْدَ قَدْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ أَوْ سَيِّئَةٍ؟ قَالَ: إِذَا هَمَّ الْعَبْدُ بِحَسَنَةٍ

وَجَدُوا مِنْهُ رِيحَ الْمِسْكِ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ وَجَدُوا مِنْهُ ريح النتن، وَعَنِ الْحَسَنِ البصري قَالَ : يَعْلَمُونَ لَا يَخْفَىٰ عليهم شي مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، وَقِيلَ: يَعْلَمُونَ مَا ظَهَرَ مِنْكُمْ دُونَ مَا حَدَّثْتُمْ بِهِ أَنْفُسَكُمْ.

[١٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ الْأَبْرَارُ الَّذِينَ بَرُّوا وَصَدَقُوا فِي إِيمَانِهِمْ بِأَدَاءِ فَرَائِضِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، والْأَبْرار: جَمْعُ بَرٍّ بِفَتْحِ الْبَاءِ وَهُوَ التَّقِيُّ.

[١٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ الْفَاجِرُ: الْمُتَّصِفُ بِالْفُجُورِ وَهُوَ ضِدُّ البرور.

[١٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها، وَالْفَاجِرُ: الْمُتَّصِفُ بِالْفُجُورِ وَهُوَ ضِدُّ البرور، ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ يوم القيامة.

[١٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ أَيْ: بَلْ هُمْ مُلَازِمُونَ لَهَا، لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : أَيْ لَا يَغِيبُونَ عَنِ الْعَذَابِ سَاعَةً وَاحِدَةً، وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا، وَلَا يُجَابُونَ إِلَىٰ مَا يَسْأَلُونَ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الرَّاحَةِ وَلَوْ يَوْمًا وَاحِدًا ثُمَّ عَظَّمَ ذَلِكَ الْيَوْمَ، فَقَالَ:

[١٧] : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ كرر تفخيما لِشَأْنِهِ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كل شي مِنَ الْقُرْآنِ مِنْ قَوْلِهِ: وَما أَدْراكَ؟ فَقَدْ أدراه.

[١٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ وَكَرَّرَهُ تَعْظِيمًا لِقَدْرِهِ وَتَفْخِيمًا لِشَأْنِهِ، وَتَهْوِيلًا لِأَمْرِهِ.

[١٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ أي لا يقدر أحد عَلَىٰ نَفْعِ أَحَدٍ وَلَا خَلَاصِهِ مِمَّا هُوَ فِيهِ، إِلَّا أَن يَأْذَنَ اللهُ لِمَن يَشَآءُ ويرضىٰ، قَالَ مُقَاتِلٌ: يَعْنِي لِنَفْسٍ كَافِرَةٍ شَيْئًا مِنَ الْمَنْفَعَةِ، وَفِي الْحَدِيثِ قَالَ عَلَيْهِ الصلاة والسَّلَامُ: «**يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»(١)؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ أي يوم لا يُمَلِّكِ اللهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَحَدًا شَيْئًا كَمَا مَلَّكَهُمْ فِي الدنيا.

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ الِانْفِطَارِ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ

---

(١) مسلم (٢٠٤).

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

وَهِيَ سُورَةٌ مَدَنِيَّةٌ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: قَالَ لَمَّا قَدِمَ النَّبِيءُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ كَانُوا مِنْ أَخْبَثِ النَّاسِ كَيْلًا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ فَأَحْسَنُوا الْكَيْلَ بَعْدَ ذَلِكَ.

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ يَعْنِي الَّذِينَ يَنْقُصُونَ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ويبخسون حقوق الناس، قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: الْمُطَفِّفُ مَأْخُوذٌ مِنَ الطَّفِيفِ، وَهُوَ الْقَلِيلُ، وَالْمُطَفِّفُ هُوَ الْمُقِلُّ حَقَّ صَاحِبِهِ بِنُقْصَانِهِ عَنِ الْحَقِّ، فِي كَيْلٍ أَوْ وَزْنٍ، ثم بين الْمُطَفِّفِينَ مَنْ هُمْ فَقَالَ :

[٢] : ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَىٰ النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ وَأَرَادَ إِذَا اكْتَالُوا مِنَ النَّاسِ أَيْ أَخَذُوا مِنْهُمْ، قَالَ الْفَرَّاءُ: أَيْ مِنَ النَّاسِ يُقَالُ: اكْتَلْتُ مِنْكَ: أَيِ اسْتَوْفَيْتُ مِنْكَ وَيُقَالُ اكْتَلْتُ مَا عَلَيْكَ: أَيْ أَخَذْتُ مَا عَلَيْكَ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: أَيْ إِذَا اكْتَالُوا مِنَ النَّاسِ اسْتَوْفَوْا عَلَيْهِمُ الْكَيْلَ، وَالْمَعْنَىٰ: الَّذِينَ إِذَا اسْتَوْفَوْا أَخَذُوا الزِّيَادَةَ، وَإِذَا أَوْفَوْا أَوْ وَزَنُوا لِغَيْرِهِمْ نَقَصُوا، فَلَا يَرْضَوْنَ لِلنَّاسِ مَا يَرْضَوْنَ لِأَنْفُسِهِمْ. الطَّبَرِيُّ: عَلَىٰ بِمَعْنَىٰ عِنْدَ.

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ أَيْ كَالُوا لَهُمْ أَوْ وَزَنُوا لهم أي للناس، وقوله: (يُخْسِرُونَ) أي ينقصون، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **خَمْسٌ بِخَمْسٍ: مَا نَقَضَ قَوْمُ الْعَهْدَ إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ، وَلَا حَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الْفَقْرُ، وَمَا ظَهَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِيهِمْ إِلَّا ظَهَرَ فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَمَا طَفَّفُوا الْكَيْلَ إِلَّا مُنِعُوا النَّبَاتَ، وَأُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَلَا مَنَعُوا الزَّكَاةَ إِلَّا حَبَسَ اللهُ عَنْهُمُ الْمَطَرَ**»(١) ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: وَسَمِعْتُ أَعْرَابِيَّةً تَقُولُ: لَا تَلْتَمِسِ الْمُرُوءَةَ مِمَّنْ مُرُوءَتُهُ فِي رُؤُوسِ الْمَكَايِيلِ ، وَلَا أَلْسِنَةِ الْمَوَازِينَ.

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا يَظُنُّ﴾ يستيقن، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : وَالظَّنُّ هُنَا بِمَعْنَىٰ الْيَقِينِ، أَيْ أَلَا يُوقِنُ أُولَئِكَ، وَلَوْ أَيْقَنُوا مَا نَقَصُوا فِي الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ ، ﴿أُولَئِكَ﴾ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ، إنكار وتعجيب عَظِيمٌ مِنْ حَالِهِمْ، فِي الدرأة عَلَىٰ التَّطْفِيفِ، كَأَنَّهُمْ لَا يُخْطِرُونَ التَّطْفِيفَ بِبَالِهِمْ، وَلَا يُخَمِّنُونَ تَخْمِينًا ﴿أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ فَمَسْئُولُونَ عَمَّا يَفْعَلُونَ.

[٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : وَفِي هَذَا الْإِنْكَارِ وَالتَّعْجِيبِ وَكَلِمَةِ الظَّنِّ، وَوَصْفِ الْيَوْمِ بِالْعَظِيمِ، وَقِيَامِ النَّاسِ فِيهِ لِلَّهِ خَاضِعِينَ، وَوَصْفِ ذَاتِهِ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، بَيَانٌ بَلِيغٌ لِعِظَمِ الذَّنْبِ، وَتَفَاقُمِ الْإِثْمِ

---

(١) المعجم الكبير (١١١٣٤) .

فِي التَّطْفِيفِ، وَفِيمَا كَانَ فِي مِثْلِ حَالِهِ مِنَ الْحَيْفِ، وَتَرْكِ الْقِيَامِ بِالْقِسْطِ، وَالْعَمَلِ عَلَىٰ التَّسْوِيَةِ وَالْعَدْلِ، فِي كُلِّ أَخْذٍ وَإِعْطَاءٍ، بَلْ فِي كُلِّ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

[٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾ من قبورهم، ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي لأمره ولجزائه ولحسابه، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: يَقُومُونَ مِقْدَارَ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ. قَالَ: وَيُهَوَّنُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ قَدْرَ صَلَاتِهِمُ الْفَرِيضَةَ، وفي الصحيحين مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ قَالَ: «**يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَىٰ نِصْفِ أُذُنَيْهِ**»(١)، ثُمَّ قِيلَ: هَذَا الْقِيَامُ يَوْمَ يَقُومُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ. وَقِيلَ: فِي الْآخِرَةِ بِحُقُوقِ عِبَادِهِ فِي الدُّنْيَا، وَقَالَ يَزِيدُ الرَّشْكُ: يَقُومُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ لِلْقَضَاءِ.

[٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ أَيْ لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ فَلْيَرْتَدِعُوا، وَتَمَامُ الْكَلَامِ هَاهُنَا، وَقَالَ الْحَسَنُ البصري: كَلَّا ابْتِدَاءٌ يَتَّصِلُ بِمَا بَعْدَهُ عَلَىٰ مَعْنَىٰ حَقًّا، ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ﴾ الَّذِي كُتِبَتْ فِيهِ أَعْمَالُهُمْ، ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾ قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو: ﴿سِجِّينٌ﴾ هِيَ الْأَرْضُ السَّابِعَةُ السُّفْلَىٰ فيها أرواح الكفار. وقال عكرمة: ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾ أَيْ لَفِي خَسَارٍ وَضَلَالٍ، وَقَالَ الْأَخْفَشُ: هُوَ فِعِّيلٌ مِنَ السِّجْنِ، كَمَا يُقَالُ: فِسِّيقٌ وَشِرِّيبٌ، مَعْنَاهُ لَفِي حَبْسٍ وَضِيقٍ شَدِيدٍ، وَفِي

---

(١) البخاري (٤٩٣٨) ومسلم (٢٨٦٢).

حَدِيثِ الْبَرَاءِ فِي خُرُوجِ رُوحِ الْكَافِرِ وَالْفَاجِرِ : « **لَا تُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ، فِي الْأَرْضِ السُّفْلَىٰ** »(١) .

[٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ هُوَ تَعْظِيمٌ لِأَمْرِ سِجِّينٍ، قَالَ الزَّجَّاجُ: أَيْ لَيْسَ ذَلِكَ مِمَّا كُنْتَ تَعْلَمُهُ أَنْتَ وَلَا قومك.

[٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ قال البغوي : لَيْسَ هَذَا تَفْسِيرُ السَّجِينِ بَلْ هُوَ بَيَانُ الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ فِي قوله: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ﴾ أَيْ مَكْتُوبٌ كَالرَّقْمِ فِي الثَّوْبِ، لَا يُنْسَىٰ وَلَا يُمْحَىٰ، وَقَالَ قَتَادَةُ: مَرْقُومٌ أَيْ مَكْتُوبٌ، رُقِمَ لَهُمْ بِشَرٍّ: لَا يُزَادُ فِيهِمْ أَحَدٌ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، أي هو كتاب الفجار مَرْقُومٌ، أَيْ مَكْتُوبٌ فِيهِ أَعْمَالُهُمْ مُثْبَتَةٌ عَلَيْهِمْ كَالرَّقْمِ فِي الثَّوْبِ، لَا يُنْسَىٰ وَلَا يُمْحَىٰ حَتَّىٰ يجازوا به.

[١٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أَيْ شِدَّةٌ وَعَذَابٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْمُكَذِّبِينَ، ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَىٰ أَمْرَهُمْ فَقَالَ :

[١١] : ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ أَيْ بِيَوْمِ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ وَالْفَصْلِ بَيْنَ الْعِبَادِ.

[١٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ أَيْ فَاجِرٍ جَائِزٍ عَنِ الْحَقِّ، مُعْتَدٍ عَلَى الْخَلْقِ فِي مُعَامَلَتِهِ إِيَّاهُمْ وَعَلَىٰ نَفْسِهِ، وَهُوَ أَثِيمٌ فِي تَرْكِ أَمْرِ

---

(١) أحمد (١٨٥٣٤) .

اللهِ ، وَالْاعْتِدَاءُ: مُبَالَغَةٌ فِي الْعُدْوَانِ فَالْافْتِعَالُ فِيهِ لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ الشِّدَّةِ ، وَالْأَثِيمُ: كَثِيرُ الْإِثْمِ، وَهُوَ فَعِيلٌ مِنْ أَمْثِلَةِ الْمُبَالَغَةِ .

[١٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أَحَادِيثُهُمْ وَأَبَاطِيلُهُمُ الَّتِي كَتَبُوهَا وَزَخْرَفُوهَا.

[١٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا﴾ كَلَّا: رَدْعٌ وَزَجْرٌ، أَيْ لَيْسَ هُوَ أَسَاطِيرَ الْأَوَّلِينَ. قَالَ مُقَاتِلٌ: أَيْ لَا يُؤْمِنُونَ، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ فَقَالَ: ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ جاء فِي سنن التِّرْمِذِيِّ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « **إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ اللهَ وَتَابَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا، حَتَّىٰ تَعْلُوَ عَلَىٰ قَلْبِهِ ، وَهُوَ (الرَّانُّ) الَّذِي ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ:** ﴿كَلَّا بَلْ رانَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كانُوا يَكْسِبُونَ﴾»[١]، والرَّيْنِ في اللغة الْغَلَبَةُ، يُقَالُ: رَانَتِ الْخَمْرُ عَلَىٰ عَقْلِهِ تَرِينُ إذا غلبت عليه حتىٰ سكر، وَمَعْنَىٰ الْآيَةِ: غَلَبَتْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمُ الْمَعَاصِي وَأَحَاطَتْ بِهَا. قَالَ الْحَسَنُ: هُوَ الذَّنْبُ عَلَىٰ الذَّنْبِ حَتَّىٰ يَمُوتَ الْقَلْبُ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ طَبَعَ عَلَيْهَا، قَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ الرَّجُلُ يُذْنِبُ الذَّنْبَ، فَيُحِيطُ الذَّنْبُ بِقَلْبِهِ، ثُمَّ يُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيُحِيطُ الذَّنْبُ بِقَلْبِهِ، حَتَّىٰ تُغْشِيَ الذُّنُوبُ قَلْبَهُ، وَقَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ صَارَ فِي قَلْبِهِ كَوَخْزَةِ الْإِبْرَةِ، ثُمَّ صَارَ

---

(١) أحمد (٧٩٥٢) والترمذي (٣٣٣٤) .

إِذَا أَذْنَبَ ثَانِيًا صَارَ كَذَلِكَ، ثُمَّ إِذَا كَثُرَتِ الذُّنُوبُ صَارَ الْقَلْبُ كَالْمُنْخُلِ، أَوْ كَالْغِرْبَالِ، لَا يَعِي خَيْرًا، وَلَا يَثْبُتُ فِيهِ صَلَاحٌ.

[١٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَلَّا: يُرِيدُ لَا يُصَدِّقُونَ، أَيْ: بَلْ هُمْ مَمْنُوعُونَ عَنْ رُؤْيَتِهِ تَعَالَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ قَتَادَةُ: هُوَ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ: كَمَا حَجَبَهُمْ فِي الدُّنْيَا عَنْ تَوْحِيدِهِ حَجَبَهُمْ فِي الْعُقْبَىٰ عَنْ رُؤْيَتِهِ.

[١٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾ لَدَاخِلُو النَّارِ.

[١٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ أَيْ تَقُولُ لَهُمُ الْخَزَنَةُ، ﴿هَذَا﴾ أَيْ هَذَا الْعَذَابُ، ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ هَذَا التَّكْذِيبُ لِلرُّسُلِ فِي الدُّنْيَا أَوْصَلَكُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ.

[١٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا﴾ قَالَ مُقَاتِلٌ: لَا يُؤْمِنُ بِالْعَذَابِ الَّذِي يَصْلَاهُ ثُمَّ بَيَّنَ مَحَلَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ ، و﴿عِلِّيِّينَ﴾ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَمُسْنَدِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ مَرْفُوعًا -فِي ارْتِفَاعِ رُوحِ الْمُؤْمِنِ بَعْدَ نَزْعِهَا إِلَىٰ طَبَقَاتِ السَّمَاءِ: «**فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا، إِلَىٰ السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّىٰ يُنْتَهَىٰ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ** » ، وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَعَانِي: عُلُوٌّ بَعْدَ عُلُوٍّ وَشَرَفٌ بَعْدَ شَرَفٍ، وَلِذَلِكَ جُمِعَتْ بِالْيَاءِ والنون.

[١٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴾ مَا أَعْلَمَكَ يَا مُحَمَّدُ أَيُّ شَيْءٍ عِلِّيُّونَ؟ عَلَىٰ جِهَةِ التَّفْخِيمِ وَالتَّعْظِيمِ لِعِلِّيِّينَ، ثُمَّ فَسَّرَهُ فَقَالَ:

[٢٠]: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ لَيْسَ هَذَا بِتَفْسِيرِ عِلِّيِّينَ ، بَلْ هُوَ بَيَانُ الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ، أَيْ مَكْتُوبٌ أَعْمَالُهُمْ كَمَا ذَكَرْنَا في كتاب الفجار.

[٢١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ يَعْنِي الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ فِي عِلِّيِّينَ يَشْهَدُونَ وَيَحْضُرُونَ ذَلِكَ الْمَكْتُوبَ، أَوْ ذَلِكَ الْكِتَابَ إِذَا صُعِدَ بِهِ إِلَىٰ عِلِّيِّينَ.

[٢٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ الَّذِينَ بَرُّوا بِاتِّقَاءِ اللهِ، وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، لَفِي نَعِيمٍ دَائِمٍ، لَا يَزُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَذَلِكَ نَعِيمُهُمْ فِي الْجِنَّانِ.

[٢٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ إِلَىٰ مَا أَعْطَاهُمُ اللهُ مِنَ الْكَرَامَةِ وَالنِّعْمَةِ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: يَنْظُرُونَ إلىٰ عدوهم كيف يعذبون.

[٢٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ إِذَا رَأَيْتَهُمْ عَرَفْتَ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ النِّعْمَةِ مِمَّا تَرَىٰ فِي وُجُوهِهِمْ مِنَ النُّورِ وَالْحُسْنِ وَالْبَيَاضِ.

[٢٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ﴾ خَمْرٌ صَافِيَةٌ طَيِّبَةٌ، وَالرَّحِيقُ مِنْ أَسْمَاءِ الْخَمْرِ، وَهُوَ مِنَ الْخَمْرِ مَا لَا غِشَّ فِيهِ وَلَا شَيْءَ يُفْسِدُهُ ﴿مَخْتُومٍ﴾ خُتِمَ وَمُنِعَ مِنْ أَنْ تَمَسَّهُ يَدٌ إِلَىٰ أَنْ يَفُكَّ خَتْمَهُ الْأَبْرَارُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿مَخْتُومٍ﴾ أَيْ مطين.

[٢٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ أَيْ طِينُهُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: طَيَّبَ اللهُ لَهُمُ الْخَمْرَ، فَكَانَ آخِرَ شَيْءٍ جُعِلَ فِيهَا مِسْكٌ، خُتِمَ بِمِسْكٍ ، وقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: خِتَامُهُ

عِنْدَ اللهِ مِسْكٌ وَخِتَامُ خَمْرِ الدُّنْيَا طين ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ فَلْيَرْغَبِ الرَّاغِبُونَ بِالْمُبَادَرَةِ إِلَىٰ طَاعَةِ الله ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعالَىٰ: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ .

[٢٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ شراب يَنْصَبُّ عَلَيْهِمْ مِنْ عُلْوٍ فِي غرفهم ومنازلهم، وأصل كلمة السنام مِنَ الْعُلُوِّ، يُقَالُ لِلشَّيْءِ الْمُرْتَفِعِ: سنام، ومنه سنام البعير.

[٢٨] قَوْلُهُ تعَالَىٰ: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ (يَشْرَبُ بِهَا) أَيْ مِنْهَا، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: عَيْنٌ فِي الْجَنَّةِ يَشْرَبُهَا الْمُقَرَّبُونَ صِرْفًا (يعني براسها بدون خلط)، وتمزج لأصحاب اليمين.

[٢٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ أشركوا يعني كفار قريش، ﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من فقراء المؤمنين ﴿يَضْحَكُونَ﴾ وَبِهَمْ يَسْتَهْزِءُونَ .

[٣٠] قَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ﴾ يَعْنِي مَرَّ الْمُؤْمِنُونَ بِالْكُفَّارِ، ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾ وَالْغَمْزُ الْإِشَارَةُ بِالْجَفْنِ وَالْحَاجِبِ، أَيْ يُشِيرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْأَعْيُنِ اسْتِهْزَاءً ، قَالَ قَتَادَةُ: فِي الدُّنْيَا، يَقُولُونَ: وَاللهِ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَكَذَبَةٌ، وَمَا هُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ، اسْتِهْزَاءً بِهِمْ.

[٣١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا﴾ يَعْنِي الْكُفَّارَ، ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ مُعْجَبِينَ بِمَا هُمْ فِيهِ يَتَفَكَّهُونَ بذكرهم ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: أَيْ: رَجَعَ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ إِلَىٰ مَنَازِلِهِمْ، انْقَلَبُوا إِلَيْهَا فَاكِهِينَ، أَيْ: مَهْمَا طَلَبُوا وَجَدُوا، وَمَعَ

هَذَا مَا شَكَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِمْ، بَلِ اشْتَغَلُوا بِالْقَوْمِ الْمُؤْمِنِينَ يَحْتَقِرُونَهُمْ وَيَحْسُدُونَهُمْ.

[٣٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ رَأَوْا أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ يَأْتُونَ مُحَمَّدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ.

[٣٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا أُرْسِلُوا﴾ يعني المشركين، ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يعني علىٰ المؤمنين، ﴿حَافِظِينَ﴾ أَعْمَالَهُمْ، أَيْ لَمْ يُوَكَّلُوا بِحِفْظِ أعمالهم ، قَالَ السَّعْدِيُّ: أَيْ: وَمَا أُرْسِلُوا وُكَلَاءَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ مُلْزَمِينَ بِحِفْظِ أَعْمَالِهِمْ، حَتَّىٰ يَحْرِصُوا عَلَىٰ رَمْيِهِمْ بِالضَّلَالِ، وَمَا هَذَا مِنْهُمْ إِلَّا تَعَنُّتٌ وَعِنَادٌ وَتَلَاعُبٌ، لَيْسَ لَهُ مُسْتَنَدٌ وَلَا بُرْهَانٌ، وَلِهَذَا كَانَ جَزَاؤُهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِمْ.

[٣٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾، ﴿فَالْيَوْمَ﴾ يَعْنِي هَذَا الْيَوْمَ الَّذِي هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِمُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ كَمَا ضَحِكَ الْكُفَّارُ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا ، فَقَلَبَ اللهُ الصُّورَةَ وَحَاقَ الْمَكْرُ بِأَهْلِهِ، فَعَزَّ الْمُؤْمِنِينَ وَأَخْزَىٰ الْكَافِرِينَ.

[٣٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿عَلَىٰ الْأَرَائِكِ﴾ أَيْ: يَنْظُرُونَ إِلَىٰ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَهُمْ عَلَىٰ سُرُرِهِمْ، وَإِلَىٰ خِزْيِ وَعَذَابِ الْكَافِرِينَ، قَالَ النَّسَفِيُّ: ﴿عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ حَالٌ، أَيْ يَضْحَكُونَ مِنْهُمْ نَاظِرِينَ إِلَيْهِمْ وَإِلَىٰ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْهَوَانِ وَالصَّغَارِ، بَعْدَ الْعِزَّةِ وَالِاسْتِكْبَارِ، وَهُمْ ﴿عَلَىٰ الْأَرَائِكِ آمِنُونَ﴾ ، وقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: ﴿عَلَىٰ

الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴾أَيْ: إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي مُقَابَلَةِ مَنْ زَعَمَ فِيهِمْ أَنَّهُمْ ضَالُّونَ، وَلَيْسُوا بِضَالِّينَ، بَلْ هُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ الْمُقَرَّبِينَ، يَنْظُرُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ.

[٣٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ﴾ هَلْ جُوزِيَ بِسُخْرِيَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا بِالْمُؤْمِنِينَ إِذَا فَعَلَ بِهِمْ ذَلِكَ ، وَهُوَ مِنْ ثَابَ يَثُوبُ أَيْ رَجَعَ، فَالثَّوَابُ مَا يَرْجِعُ عَلَىٰ الْعَبْدِ فِي مُقَابَلَةِ عَمَلِهِ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، ﴿مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أَيْ جَزَاءَ اسْتِهْزَائِهِمْ بِالْمُؤْمِنِينَ وَمَعْنَىٰ الِاسْتِفْهَامِ هَاهُنَا: التَّقْرِيرُ. وَثُوِّبَ وَأُثِيبَ وَأَثَابَ بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ.

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمُطَفِّفِينَ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ

سُورَةُ الِانْشِقَاقِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِالِاتِّفَاقِ.

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ أَيِ انْصَدَعَتْ، وَتَفَطَّرَتْ، وانْشِقَاقُهَا مِنْ عَلَامَاتِ الْقِيَامَةِ .

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أَيْ سَمِعَتْ أَمْرَ رَبِّهَا بِالِانْشِقَاقِ وَأَطَاعَتْهُ، مِنَ الْأُذُنِ وَهُوَ الِاسْتِمَاعُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ كَإِذْنِهِ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّىٰ بِالْقُرْآنِ** »(١) ، أَيْ مَا اسْتَمَعَ اللهُ لِشَيْءٍ ﴿وَحُقَّتْ﴾ أَيْ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تُطِيعَ ربها ، قَالَ الضَّحَّاكُ: حُقَّتْ: أَطَاعَتْ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تُطِيعَ رَبَّهَا، لِأَنَّهُ خَلَقَهَا.

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ تُمَدُّ مَدَّ الْأَدِيمِ يعني الجلد ، لِأَنَّ الْأَدِيمَ إِذَا مُدَّ زَالَ كُلُّ انْثِنَاءٍ فِيهِ وَامْتَدَّ وَاسْتَوَىٰ ، وَزِيدَ فِي سعتها، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:

---

(١) البخاري (٥٠٢٤) ومسلم (٧٩٢) .

وَيُزَادُ وَسِعَتُهَا كَذَا وَكَذَا، لِوُقُوفِ الْخَلَائِقِ عَلَيْهَا لِلْحِسَابِ حَتَّىٰ لَا يَكُونُ لِأَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ إِلَّا مَوْضِعُ قَدَمِهِ، لِكَثْرَةِ الْخَلَائِقِ فِيهَا.

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَلْقَتْ﴾ أخرجت، ﴿مَا فِيهَا﴾ من الموتىٰ والكنوز، ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ خَلَتْ مِنْهَا ، قَالَ سعيد بْنُ جُبَيْرٍ: أَلْقَتْ مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الْمَوْتَىٰ، وَتَخَلَّتْ مِمَّنْ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنَ الْأَحْيَاءِ.

[٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّها﴾ أَيْ فِي إِلْقَاءِ مَوْتَاهَا ﴿وَحُقَّتْ﴾ أَيْ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَسْمَعَ أَمْرَهُ ، وَاخْتُلِفَ فِي جَوَابِ إِذَا فَقَالَ الْفَرَّاءُ: أَذِنَتْ ، وَالْوَاوُ زَائِدَةٌ، وَكَذَلِكَ وَأَلْقَتْ ، وقِيلَ: جَوَابُهُ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ يَرَىٰ الْإِنْسَانُ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ، وَقِيلَ جَوَابُهُ:

[٦] : ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾ الْمُرَادُ بِالْإِنْسَانِ الْجِنْسُ أَيْ يَا ابْنَ آدَمَ ، يَعْنِي أَيُّ إِنْسَانٍ ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ أَيْ سَاعٍ إِلَيْهِ فِي عملك، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّكَ كادِحٌ أَيْ رَاجِعٌ إِلىٰ رَبِّكَ كَدْحاً أَيْ رُجُوعًا لَا مَحَالَةَ والكدح: سعي الْإِنْسَانِ وَجُهْدُهُ فِي الْأَمْرِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ حَتَّىٰ يَكْدَحَ ذَلِكَ فيه، أي يؤثر ﴿فَمُلَاقِيهِ﴾ أَيْ مُلَاقِي جَزَاءَ عَمَلِكَ خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا، وَالْمُلَاقَاةُ بِمَعْنَىٰ اللِّقَاءِ أَنْ تَلْقَىٰ رَبَّكَ بِعَمَلِك ، وَقِيلَ : أَيْ تُلَاقِي كِتَابَ عَمَلِكَ، لِأَنَّ الْعَمَلَ قَدِ انْقَضَىٰ وَلِهَذَا قَالَ

[٧] : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ﴾ دِيوَانُ أَعْمَالِهِ ، ﴿بِيَمِينِهِ﴾ وَهُوَ الْمُؤْمِنُ.

[٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ لَا مُنَاقَشَةَ فِيهِ ، كما أخرج البخاري مِنْ حَدِيثِ أم المؤمنين عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ** » ، قَالَتْ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ . فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسِيراً﴾ ؟ فَقَالَ: **لَيْسَ ذَاكَ الْحِسَابُ، إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ، مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ**»(١).

[٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْحُورِ العين والآدميات، ﴿مَسْرُورًا﴾ بِمَا أُوتِيَ مِنَ الْخَيْرِ وَالْكَرَامَةِ.

[١٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ أي: بشماله من خلفه، فَتُغَلُّ يَدُهُ الْيُمْنَىٰ إِلَىٰ عُنُقِهِ وَتُجْعَلُ يَدُهُ الشِّمَالُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، فَيُؤْتَىٰ كِتَابَهُ بِشَمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظهره.

[١١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾ يُنَادِي بِالْوَيْلِ وَالْهَلَاكِ إِذَا قَرَأَ كِتَابَهُ يَقُولُ: يَا وَيْلَاهُ يَا ثبوراه ، وَالْمَثْبُورُ: الَّذِي أَصَابَهُ الثُّبُورُ وَهُوَ الْهَلَاكُ ، وَهَذَا نِذَارَةٌ وَتَهْدِيدٌ لِفِرْعَوْنَ بِقُرْبِ هَلَاكِهِ.

[١٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَصْلىٰ سَعِيراً﴾ أَيْ وَيَدْخُلُ النَّارَ حَتَّىٰ يَصْلَىٰ بَحَرِّهَا.

---

(١) البخاري (٤٩٣٩) ومسلم (٢٨٧٦) .

[١٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ يَعْنِي فِي الدُّنْيَا بِاتِّبَاعِ هَوَاهُ وَرُكُوبِ شَهْوَتِهِ ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: وَصَفَ اللهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِالْمَخَافَةِ وَالْحُزْنِ وَالْبُكَاءِ وَالشَّفَقَةِ فِي الدُّنْيَا فَأَعْقَبَهُمْ بِهِ النَّعِيمَ وَالسُّرُورَ فِي الْآخِرَةِ، وَقَرَأَ قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنا مُشْفِقِينَ . فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنا وَوَقانا عَذابَ السَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٦-٢٧] ، قَالَ: وَوَصَفَ أَهْلَ النَّارِ بِالسُّرُورِ فِي الدُّنْيَا وَالضَّحِكِ فِيهَا وَالتَّفَكُّهِ، فَقَالَ: إِنَّهُ كانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً .

[١٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ أَنْ لَنْ يَرْجِعَ إِلَيْنَا وَلَنْ يبعث، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا كُنْتُ أَدْرِي: مَا يَحُورُ؟ حَتَّىٰ سَمِعْتُ أَعْرَابِيَّةً تَدْعُو بُنَيَّةً لَهَا: حُورِيُّ، أَيِ ارْجِعِي إِلَيَّ، فَالْحَوْرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الرُّجُوعُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ**»(١) ، يَعْنِي: مِنَ الرُّجُوعِ إِلَىٰ النُّقْصَانِ بَعْدَ الزِّيَادَةِ، ثم قال:

[١٥] : ﴿بَلَىٰ﴾ أَيْ لَيْسَ كَمَا ظَنَّ بَلْ يَحُورُ إِلَيْنَا وَيُبْعَثُ ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُ، عَالِمًا بِأَنَّ مَرْجِعَهُ إِلَيْهِ.

[١٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ أَيْ بِالْحُمْرَةِ الَّتِي تَكُونُ عِنْدَ مَغِيبِ الشَّمْسِ ، حَتَّىٰ تَأْتِيَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ الْآخِرَةَ ، وَقَالَ قَوْمٌ: هُوَ الْبَيَاضُ الَّذِي يَعْقُبُ تِلْكَ الْحُمْرَةَ.

---

(١) مسلم (١٣٤٣) .

[١٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أي: والليل وما جَمَعَ وحَمَلَ، فَإِنَّهُ جَمَعَ وَضَمَّ مَا كَانَ مُنْتَشِرًا بِالنَّهَارِ فِي تَصَرُّفِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّيْلَ إِذَا أَقْبَلَ آوَىٰ كُلَّ شَيْءٍ إِلَىٰ مَأْوَاهُ يُقَالُ: وَسَقْتُهُ أَيْ جَمَعْتُهُ، وَاسْتَوْسَقَتِ الْإِبِلُ إِذَا اجْتَمَعَتْ وَانْضَمَّتْ، وَالْمَعْنَىٰ: وَاللَّيْلِ وَمَا جَمَعَ وَضَمَّ مَا كَانَ بِالنَّهَارِ مُنْتَشِرًا مِنَ الدَّوَابِّ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّيْلَ إِذَا أَقْبَلَ أَوَىٰ كُلُّ شَيْءٍ إِلَىٰ مَأْوَاهُ.

[١٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ اجْتَمَعَ وَاسْتَوَىٰ وَتَمَّ نُورُهُ، وَهُوَ فِي الأيام البيض، قَالَ الْحَسَنُ البصري: اتَّسَقَ: أَيِ امْتَلَأَ وَاجْتَمَعَ، يُقَالُ: أَمْرُ فُلَانٍ مُتَّسِقٌ: أَيْ مُجْتَمِعٌ عَلَىٰ الصَّلَاحِ مُنْتَظِمٌ.

[١٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ يَعْنِي لَتَرْكَبَنَّ يا محمد، قَالَ الشَّعْبِيُّ وَمُجَاهِدٌ: سَمَاءً بَعْدَ سَمَاءٍ، قَالَ الْكَلْبِيُّ: يَعْنِي تُصْعَدُ فِيهَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ دَرَجَةً بَعْدَ دَرَجَةٍ وَرُتْبَةً بَعْدَ رُتْبَةٍ فِي الْقُرْبِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ والرفعة، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، قَالَ: هَذَا نَبِيُّكُمْ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقِيلَ: أَرَادَ بِهِ السَّمَاءَ تَتَغَيَّرُ لَوْنًا بَعْدَ لَوْنٍ، فَتَصِيرُ تَارَةً كَالدِّهَانِ وَتَارَةً كَالْمُهْلِ، فتنشق بِالْغَمَامِ مَرَّةً وَتُطْوَىٰ أُخْرَىٰ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: يَعْنِي الْمَوْتَ ثُمَّ الْحَيَاةَ ثُمَّ الْمَوْتَ ثُمَّ الْحَيَاةَ، وَقَالَ عَطَاءٌ: مَرَّةً فَقِيرًا وَمَرَّةً غَنِيًّا، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْنِي الشَّدَائِدَ وَالْأَهْوَالَ وَالْمَوْتَ، ثُمَّ الْبَعْثَ ثُمَّ الْعَرْضَ.

[٢٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أَيْ فَمَاذَا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَمَا لَهُمْ إذا قرئت عليهم آيات الله ، وَهُوَ هَذَا الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ إِعْظَامًا وَإِكْرَامًا واحتراماً .

[٢١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ لَا يُصَلُّونَ وَلَا يَنْقَادُونَ لِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ .

[٢٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ بِالْقُرْآنِ وَالْبَعْثِ.

[٢٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ فِي صُدُورِهِمْ مِنَ التَّكْذِيبِ. قَالَ مُجَاهِدٌ: يَكْتُمُونَ.

[٢٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أَيْ فَأَخْبِرْهُمْ يَا مُحَمَّدُ بِأَنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد أعد لهم عذابا إليماً.

[٢٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ هَذَا اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ يَعْنِي لَكِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ أَيْ بِقُلُوبِهِمْ ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ أي بِجَوَارِحِهِمْ ﴿لَهُمْ أَجْرٌ﴾ أَيْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أَيْ غَيْرُ مَنْقُوصٍ وَلَا مَقْطُوعٍ، يُقَالُ: مَنَنْتُ الْحَبْلَ: إِذَا قَطَعْتُهُ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: غَيْرُ مَنْقُوصٍ، وقال مجاهد: غَيْرُ مَحْسُوبٍ.

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ الِانْشِقَاقِ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ

سُورَةُ الْبُرُوجِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِاتِّفَاقٍ.

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ أَيْ: النُّجُومُ الْعِظَامُ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْبُرُوجُ: النُّجُومُ ، وَفِي التَّنْزِيلِ نَحْوُ ذَلِكَ، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، وَالْبُرُوجُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْقُصُورُ، قَالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النساء : ٧٨].

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ قَالَ السَّعْدِيُّ : وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، الَّذِي وَعَدَ اللهُ الْخَلْقَ أَنْ يَجْمَعَهُمْ فِيهِ، وَيَضُمَّ فِيهِ أَوَّلَهُمْ وَآخِرَهُمْ، وَقَاصِيَهُمْ وَدَانِيَهُمْ، الَّذِي لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَغَيَّرَ، وَلَا يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ.

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ آخَرُ مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَهُوَ الْقِيَامَةُ، وَبِالشَّاهِدِ وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَبِالْمَشْهُودِ وَهُوَ يَوْمُ عَرَفَةَ، فَقَدْ أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ - عِنْدَ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَاتِ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَالْيَوْمُ**

الْمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالشَّاهِدُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ » ، قَالَ: « **وَمَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتْ عَلَىٰ يَوْمٍ أفضلَ مِنْهُ، فيه ساعةٌ لا يُوافِقُها عَبْدٌ مؤمِنٌ يدعو الله بخير إلا استجابَ الله لهُ، ولا يَستعيذُ مِنْ شيءٍ إلا أعاذَهُ الله مِنْهُ** »(١).

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ أَيْ لُعِنَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ ﴿قُتِلَ﴾ فَهُوَ لُعِنَ ، وَالْأُخْدُودُ: الشَّقُّ الْمُسْتَطِيلُ فِي الْأَرْضِ كَالنَّهْرِ، وَجَمْعُهُ أَخَادِيدُ ، وَكَانَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ هَؤُلَاءِ قَوْمـًا كَافِرِينَ، وَلَدَيْهِمْ قَوْمٌ مُؤْمِنُونَ، فَرَاوَدُوهُمْ لِلدُّخُولِ فِي دِينِهِمْ، فَامْتَنَعَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ ذَلِكَ، فَشَقَّ الْكَافِرُونَ أُخْدُوداً فِي الْأَرْضِ، وَقَذَفُوا فِيهَا النَّارَ، وَقَعَدُوا حَوْلَهَا، وَفَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ، وَعَرَضُوهُمْ عَلَيْهَا، فَمَنِ اسْتَجَابَ لَهُمْ أَطْلَقُوهُ، وَمَنْ اسْتَمَرَّ عَلَىٰ الْإِيمَانِ قَذَفُوهُ فِي النَّارِ، وَهَذَا فِي غَايَةِ الْمُحَارَبَةِ لِلَّهِ وَلِحِزْبِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلِهَذَا لَعَنَهُمُ اللهُ وَأَهْلَكَهُمْ وَتَوَعَّدَهُمْ فَقَالَ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ ثُمَّ فَسَّرَ الْأُخْدُودَ بِقَوْلِهِ:

[٥] : ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ الحطب الذي توقد به، قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: نَجَّىٰ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أُلْقُوا فِي النَّارِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ قَبْلَ أَنْ تَمَسَّهُمُ النَّارُ ، وَخَرَجَتِ النَّارُ إِلَىٰ مَنْ عَلَىٰ شَفِيرِ الْأُخْدُودِ مِنَ الْكُفَّارِ فَأَحْرَقَتْهُمْ.

---

(١) الترمذي (٣٣٣٩) .

[٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ أَيْ عِنْدَ النَّارِ جُلُوسٌ يُعَذِّبُونَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ مُجَاهِدٌ: كَانُوا قُعُوداً عَلَىٰ الْكَرَاسِيِّ عِنْدَ الْأُخْدُودِ ﴿وَهُمْ﴾ يَعْنِي الْمَلِكَ وَأَصْحَابَهُ الَّذِينَ خَدُّوا الْأُخْدُودَ.

[٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ مِنْ عَرْضِهِمْ عَلَىٰ النَّارِ وَإِرَادَتِهِمْ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِهِمْ، ﴿شُهُودٌ﴾ حُضُورٌ، أَيْ كَانُوا يَعْرِضُونَ الْكُفْرَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، فَمَنْ أَبَىٰ أَلْقَوْهُ فِي النَّارِ وَهُمْ شُهُودٌ لِذَلِكَ التَّعْذِيبِ.

[٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مَا كَرِهُوا مِنْهُمْ، ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ﴾ قَالَ مُقَاتِلٌ: مَا عَابُوا مِنْهُمْ، وَقِيلَ: مَا عَلِمُوا فِيهِمْ عَيْبًا، قَالَ الزَّجَّاجُ: مَا أَنْكَرُوا عَلَيْهِمْ ذَنْبًا إِلَّا إِيمَانَهُمْ بِاللهِ ﴿بِاللهِ الْعَزِيزِ﴾ أَيِ الغالب المنيع، ﴿الْحَمِيدِ﴾ أَيِ الْمَحْمُودِ فِي كُلِّ حَالٍ.

[٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ فِيهِمَا وَلَا نَدّ ﴿وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أَيْ عَالِمٌ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ لَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ خافية.

[١٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أَيْ حَرَّقُوهُمْ بِالنَّارِ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: فَتَنَ فُلَانٌ الدِّرْهَمَ وَالدِّينَارَ إِذَا أَدْخَلَهُ الْكُورَ لِيَنْظُرَ جَوْدَتَهُ، وَدِينَارٌ مَفْتُونٌ ، وَيُسَمَّىٰ الصَّائِغُ الْفَتَّانَ، وَكَذَلِكَ الشَّيْطَانُ ، ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ أَيْ مِنْ قَبِيحِ صَنِيعِهِمْ مَعَ مَا أَظْهَرَهُ اللهُ لِهَذَا الْمَلِكِ الْجَبَّارِ الظَّالِمِ وَقَوْمِهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْبَيِّنَاتِ عَلَىٰ يَدِ الْغُلَامِ ، قَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللهُ: انْظُرُوا إِلَىٰ هَذَا الْكَرَمِ وَالْجُودِ،

هُمْ قَتَلُوا أَوْلِيَاءَهُ وَأَهْلَ طَاعَتِهِ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ التَّوْبَةِ ، ﴿فَلَهُمْ عَذابُ جَهَنَّمَ﴾ لِكُفْرِهِمْ ، ﴿وَلَهُمْ عَذابُ الْحَرِيقِ﴾ فِي الدُّنْيَا لِإِحْرَاقِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّارِ. وَالْحَرِيقُ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ جَهَنَّمَ، كَالسَّعِيرِ ، قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ فِي الدُّنْيَا، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ أَحْرَقَهُمْ بِالنَّارِ الَّتِي أحرقوا بها المؤمنين، وارتفعت إِلَيْهِمْ مِنَ الْأُخْدُودِ، ، ثُمَّ ذَكَرَ مَا أَعَدَّ لِلْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ:

[١١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أَيْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَانُوا آمَنُوا بِاللهِ، أَيْ صَدَّقُوا بِهِ وَبِرُسُلِهِ، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ﴾ أَيْ بَسَاتِينَ، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ﴾ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، وَمِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَمِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى، ﴿ذلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ أَيِ الْعَظِيمُ، الذي لا فوز يشبهه.

[١٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ أَخْذَهُ بِالْعَذَابِ إِذَا أَخَذَ الظَّلَمَةَ لَشَدِيدٌ، الْبَطْشِ وَهُوَ: الْأَخْذُ الشَّدِيدُ بِعُنْفٍ.

[١٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ أَيْ يَخْلُقُهُمْ أَوَّلًا فِي الدُّنْيَا ثُمَّ يُعِيدُهُمْ أَحْيَاءً بَعْدَ الْمَوْتِ، قَالَ الْمُبَرِّدُ: إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ جَوَابُ الْقَسَمِ ، الْمَعْنَىٰ: وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ، وَمَا بَيْنَهُمَا مُعْتَرِضٌ مُؤَكِّدٌ لِلْقَسَمِ.

[١٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ الَّذِي يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعَهَا لِمَنْ تَابَ، وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ لِمَنْ اسْتَغْفَرَهُ وَأَنَابَ، ﴿الْوَدُودُ﴾ قَالَ السَّعْدِيُّ: الَّذِي يُحِبُّهُ أَحْبَابُهُ مَحَبَّةً لَا يُشْبِهُهَا شَيْءٌ فَكَمَا أَنَّهُ لَا يُشَابِهُهُ شَيْءٌ فِي صِفَاتِ الْجَلَالِ

وَالْجَمَالِ، وَالْمَعَانِي وَالْأَفْعَالِ، فَمَحَبَّتُهُ فِي قُلُوبِ خَوَاصِّ خَلْقِهِ، التَّابِعَةِ لِذَلِكَ، لَا يُشْبِهُهَا شَيْءٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَحَابِّ، وَلِهَذَا كَانَتْ مَحَبَّتُهُ أَصْلَ الْعُبُودِيَّةِ، وَهِيَ الْمَحَبَّةُ الَّتِي تَتَقَدَّمُ جَمِيعَ الْمَحَابِّ وَتَغْلِبُهَا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَيْرُهَا تَبَعًا لَهَا، كَانَتْ عَذَابًا عَلَىٰ أَهْلِهَا، وَهُوَ تَعَالَىٰ الْوَدُودُ، الْوَادُّ لِأَحْبَابِهِ.

[١٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ أَيْ: صَاحِبُ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، الَّذِي مِنْ عَظَمَتِهِ، أَنَّهُ وَسِعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَخَصَّ اللهُ الْعَرْشَ بِالذِّكْرِ، لِعَظَمَتِهِ، وَلِأَنَّهُ أَخَصُّ الْمَخْلُوقَاتِ بِالْقُرْبِ مِنْهُ تَعَالَىٰ.

[١٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ لَا يَحْجُزُهُ شَيْءٌ يُرِيدُهُ وَلَا يَمْتَنِعُ مِنْهُ شَيْءٌ طَلَبَهُ.

[١٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ قَدْ أَتَاكَ خَبَرُ الْجُمُوعِ الْكَافِرَةِ الذين تجندوا على الأنبياء، ثُمَّ بَيَّنَ مَنْ هُمْ؟ يُؤْنِسُهُ بِذَلِكَ وَيُسَلِّيهِ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَإِنَّمَا خَصَّ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ، لِأَنَّ ثَمُودَ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ وَقِصَّتُهُمْ عِنْدَهُمْ مَشْهُورَةٌ وَإِنْ كَانُوا مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَأَمْرُ فِرْعَوْنَ كَانَ مَشْهُورًا عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَغَيْرِهِمْ، وَكَانَ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي الْهَلَاكِ، فَدَلَّ بِهِمَا على أمثالهما في الهلاك.

[١٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ اسْتِفْهَامٌ بِمَعْنَىٰ التَّقْرِيرِ، الْمَعْنَىٰ: إِنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ مَا فَعَلَ اللهُ بِهِمْ حِينَ كَذَّبُوا أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ.

[١٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ، ﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾ لك وللقرآن كدأب مِنْ قَبْلِهِمْ، وَلَمْ يَعْتَبِرُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ.

[٢٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَاللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ عَالِمٌ بِهِمْ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، يَقْدِرُ أَنْ يُنْزِلَ بِهِمْ مَا أَنْزَلَ بِمَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ. وَقِيلَ: أَيْ وَاللهُ عَالِمٌ بِهِمْ فَهُوَ يُجَازِيهِمْ.

[٢١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ كَرِيمٌ شَرِيفٌ كَثِيرُ الْخَيْرِ، لَيْسَ كَمَا زَعَمَ الْمُشْرِكُونَ أَنَّهُ شِعْرٌ وكهانة، هُوَ بَيَانُ مَا بِالنَّاسِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ أَحْكَامِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، لَا كَمَا زَعَمَ الْمُشْرِكُونَ.

[٢٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ مَحْفُوظٌ مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّغْيِيرِ وَالتَّحْرِيفِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وقيل: أَيْ مَكْتُوبٍ فِي لَوْحٍ، وَهُوَ مَحْفُوظٌ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ وُصُولِ الشَّيَاطِينِ إِلَيْهِ، وقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: أَيْ: هُوَ فِي الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ مَحْفُوظٌ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ وَالتَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ.

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ الْبُرُوجِ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ

سُورَةُ الطَّارِقِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِالِاتِّفَاقِ ، عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي جَبَلٍ الْعُدْوَانِيِّ: «أَنَّهُ أَبْصَرَ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَشْرِقِ ثَقِيفٍ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ قَوْسٍ أَوْ عَصَا حِينَ أَتَاهُمْ يَبْتَغِي عِنْدَهُمُ النَّصْرَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: وَالسَّماءِ وَالطَّارِقِ حَتَّىٰ خَتَمَهَا قَالَ: «فَوَعَيْتُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ثُمَّ قَرَأْتُهَا فِي الْإِسْلَامِ»(١).

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ قسمان: السَّماءِ قسم، والطَّارِقِ قَسَمٌ، والطارق النَّجْمُ يَظْهَرُ بِاللَّيْلِ، وَمَا أَتَاكَ لَيْلًا فَهُوَ طَارِقٌ.

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ ثُمَّ فَسَّرَهُ فَقَالَ:

[٣] : ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ أَيِ الْمُضِيءُ الْمُنِيرُ، قَالَ مُجَاهِدٌ: المتوهج ، قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ: وَأَصْلُ الطَّرْقِ: الدَّقُّ، وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الْمِطْرَقَةُ، فَسُمِّيَ قَاصِدُ اللَّيْلِ طَارِقًا، لِاحْتِيَاجِهِ فِي الْوُصُولِ إِلَىٰ الدَّقِّ ، قَالَ السَّعْدِيُّ : أَيْ: الْمُضِيءُ، الَّذِي يَثْقُبُ نُورُهُ، فَيَخْرِقُ السَّمَاوَاتِ ، فَيَنْفُذُ حَتَّىٰ يُرَىٰ فِي الْأَرْضِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ اسْمُ جِنْسٍ يَشْمَلُ سَائِرَ النُّجُومِ الثَّوَاقِبِ.

---

(١) أحمد (١٧٩٥١) .

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ هَذَا هُوَ جَوَابُ الْقَسَمِ ، ﴿لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ كُلُّ نَفْسٍ عَلَيْهَا حَافِظٌ مِنْ رَبِّهَا يَحْفَظُ عَمَلَهَا وَيُحْصِي عَلَيْهَا مَا تَكْتَسِبُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُمُ الْحَفَظَةُ من الملائكة.

[٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ اسْتِفْهَامٌ لِلتَّنْبِيهِ، أَيْ فَلْيَتَفَكَّرْ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ رَبُّهُ، أَيْ فَلْيَنْظُرْ نَظَرَ الْمُتَفَكِّرِ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَجْهُ الِاتِّصَالِ بِمَا قَبْلَهُ تَوْصِيَةُ الْإِنْسَانِ بِالنَّظَرِ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ وَسُنَّتِهِ الْأُولَىٰ، حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَنْ مَنْ أَنْشَأَهُ قَادِرٌ عَلَىٰ إِعَادَتِهِ وَجَزَائِهِ، فَيَعْمَلَ لِيَوْمِ الْإِعَادَةِ وَالْجَزَاءِ، وَلَا يُمْلِي عَلَىٰ حَافِظِهِ إِلَّا مَا يَسُرُّهُ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِهِ ، ثُمَّ بَيَّنَ فَقَالَ:

[٦] : ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ مَدْفُوقٍ أَيْ مَصْبُوبٍ فِي الرَّحِمِ، وَهُوَ الْمَنِيُّ، وَالدَّفْقُ الصَّبُّ وَأَرَادَ مَاءَ الرَّجُلِ وَمَاءَ الْمَرْأَةِ لِأَنَّ الْوَلَدَ مَخْلُوقٌ مِنْهُمَا، وَجَعَلَهُ وَاحِدًا لِامْتِزَاجِهِمَا.

[٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ يَعْنِي صُلْبَ الرَّجُلِ أَيِ الظهر، وَتَرَائِبَ الْمَرْأَةِ والترائب جُمَعُ التَّرِيبَةِ وَهِيَ عِظَامُ الصَّدْرِ وَالنَّحْرِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: تَرِيبَةُ الْمَرْأَةِ مَوْضِعُ الْقِلَادَةِ

[٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِنَّهُ عَلَىٰ رَدِّ الْإِنْسَانِ بَعْدَ الْمَوْتِ لَقَادِرٌ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: عَلَىٰ رَدِّ الْمَاءِ فِي الصُّلْبِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ عَلَىٰ بعث الانسان وإعادته بعد الموت قَادِرٌ، وَهَذَا أَوْلَىٰ الْأَقَاوِيلِ، لِقَوْلِهِ:

[٩] : ﴿يَوْمَ تُبْلَىٰ السَّرَائِرُ﴾ وَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، تُبْلَىٰ السَّرَائِرُ تظهر الخفايا. قَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ: السَّرَائِرُ فَرَائِضُ الْأَعْمَالِ، كَالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَالْوُضُوءِ وَالِاغْتِسَالِ مِنَ الْجَنَابَةِ، فَإِنَّهَا سَرَائِرُ بَيْنَ اللهِ تَعَالَىٰ وَبَيْنَ الْعَبْدِ، فَلَوْ شَاءَ الْعَبْدُ لَقَالَ: صُمْتُ وَلَمْ يَصُمْ، وَصَلَّيْتُ وَلَمْ يصل ، وَقِيلَ: تُبْلَىٰ السَّرائِرُ: أَيْ تُخْرَجُ مُخَبَّآتُهَا وَتُظْهَرُ، وَهُوَ كُلُّ مَا كَانَ اسْتَسَرَّهُ الْإِنْسَانُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَأَضْمَرَهُ مِنْ إِيمَانٍ أَوْ كُفْرٍ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما : يُبْدِي اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُلَّ سِرٍّ خَفِيٍّ، فَيَكُونُ زَيْنًا فِي الْوُجُوهِ، وَشَيْنًا في الوجوه

[١٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ أَيْ مَا لِهَذَا الْإِنْسَانِ الْمُنْكِرِ لِلْبَعْثِ مِنْ قُوَّةٍ يَمْتَنِعُ بِهَا مِنْ عَذَابِ اللهِ وَلَا نَاصِرَ يَنْصُرُهُ مِنَ اللهِ ، ثُمَّ ذَكَرَ قَسَمًا آخَرَ فَقَالَ:

[١١] : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ أَيْ ذَاتِ الْمَطَرِ ؛ لِأَنَّهُ يَرْجِعُ كُلَّ عَامٍ وَيَتَكَرَّرُ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ السَّحَابُ يَرْجِعُ الْمَطَرُ.

[١٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ أي تصدع وَتَنْشَقُّ عَنِ النَّبَاتِ وَالْأَشْجَارِ وَالْأَنْهَارِ، وَالصَّدْعُ: بِمَعْنَىٰ الشَّقِّ، لِأَنَّهُ يَصْدَعُ الْأَرْضَ، فَتَنْصَدِعُ بِهِ، وَكَأَنَّهُ قَالَ: وَالْأَرْضِ ذَاتِ النَّبَاتِ، لِأَنَّ النَّبَاتَ صَادِعٌ لِلْأَرْضِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: وَالْأَرْضِ ذَاتِ الطُّرُقِ الَّتِي تَصْدَعُهَا الْمُشَاةُ ، وَقِيلَ: ذَاتُ الْحَرْثِ، لِأَنَّهُ يَصْدَعُهَا.

[١٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُ﴾ يعني القرآن، ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ حَقٌّ وَجِدٌّ يَفْصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، هَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ، وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ رضي الله عنه قال: كِتَابٌ فِيهِ خَبَرُ مَا قَبْلَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَعْدَكُمْ، هُوَ الْفَصْلُ، لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ، وَمَنَ ابْتَغَىٰ الْهُدَىٰ فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْقَوْلِ الْفَصْلِ: مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْوَعِيدِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ. يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾.

[١٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ بِاللَّعِبِ وَالْبَاطِلِ، وَالْهَزْلُ: ضِدُّ الْجِدِّ، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ مُشْرِكِي مَكَّةَ فَقَالَ:

[١٥]: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ يَخَافُونَ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُظْهِرُونَ مَا هُمْ عَلَىٰ خلافه.

[١٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ وَكَيْدُ اللهِ اسْتِدْرَاجُهُمْ إِيَّاهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ، قَالَ السَّعْدِيُّ: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، وَلِدَفْعِ مَا جَاءُوا بِهِ مِنَ الْبَاطِلِ، وَيُعْلَمُ بِهَذَا مَنِ الْغَالِبُ، فَإِنَّ الْآدَمِيَّ أَضْعَفُ وَأَحْقَرُ مِنْ أَنْ يُغَالِبَ الْقَوِيَّ الْعَلِيمَ فِي كَيْدِهِ.

[١٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَذَا وَعِيدٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ، ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ قَلِيلًا وَمَعْنَىٰ مَهِّلْ وَأَمْهِلْ أَنْظِرْ وَلَا تَعْجَلْ، وَمَهَّلَ وَأَمْهَلَ: بِمَعْنَىٰ، مِثْلَ نَزَّلَ وَأَنْزَلَ، وَأَمْهِلْهُ: أَنْظِرْهُ، وَمَهِّلْهُ تَمْهِيلًا، وَالِاسْمُ: الْمُهْلَةُ، فَأَخَذَهُمُ اللهُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَنُسِخَ الْإِمْهَالُ بِآيَةِ السَّيْفِ، وَفِي جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ

بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « **إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّىٰ يُوَافَىٰ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1] .

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ الطَّارِقِ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ

(١) الترمذي (٢٣٩٦) .

سُورَةُ الْأَعْلَى

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ ، رَوَىٰ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْهَا: «**كَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْوِتْرِ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَىٰ سَبِّحِ**»(١).

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ﴾ يَعْنِي قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَىٰ، وَقَالَ قَوْمٌ: مَعْنَاهُ نَزِّهْ رَبَّكَ الْأَعْلَىٰ عَمَّا يَصِفُهُ بِهِ الملحدون، وَقَالَ آخَرُونَ: نَزِّهْ تَسْمِيَةَ رَبِّكَ بِأَنْ تَذْكُرَهُ وَأَنْتَ مُعَظِّمٌ وَلِذِكْرِهِ مُحْتَرِمٌ ، وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ: « لَمَّا نَزَلَتْ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ** »(٢).

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ أَيْ خَلَقَ الْخَلِيقَةَ وَالْأَشْيَاءَ، وَسَوَّىٰ كُلَّ مَخْلُوقٍ فِي أَحْسَنِ الْهَيْئَاتِ، وَالتَّسْوِيَةُ: التَّعْدِيلُ ، قَالَ الْكَلْبِيُّ: خَلَقَ كُلَّ ذِي رُوحٍ فَسَوَّىٰ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ وَالْعَيْنَيْنِ ، قال الزَّجَّاجُ: خَلَقَ الْإِنْسَانَ مُسْتَوِيًا، وَمَعْنَىٰ سَوَّىٰ: عَدَلَ قَامَتَهُ.

---

(١) أبو داود (١٤٢٣) والترمذي (٤٦٢) .

(٢) أبو داود (٨٦٩) .

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ قال مُجَاهِدٌ: هَدَىٰ الْإِنْسَانَ لِسَبِيلِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالسَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ، وَهَدَىٰ الْأَنْعَامَ لِمَرَاتِعِهَا، وَقِيلَ: قدر الأرزاق فهدىٰ لِاكْتِسَابِ الْأَرْزَاقِ وَالْمَعَاشِ، وَقِيلَ: خَلَقَ الْمَنَافِعَ فِي الْأَشْيَاءِ وَهَدَىٰ الْإِنْسَانَ لوجه استخراجها منها.

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ﴾ أَنْبَتَ الْعُشْبَ وَمَا تَرْعَاهُ النَّعَمُ. مِنْ بَيْنِ أَخْضَرَ وَأَصْفَرَ وَأَحْمَرَ وأبيض.

[٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَجَعَلَهُ﴾ بعد الخضرة، ﴿غُثَاءً﴾ هَشِيمًا بَالِيًا، والْغُثَاءُ: مَا يَقْذِفُ بِهِ السَّيْلُ عَلَىٰ جَوَانِبِ الْوَادِي مِنَ الْحَشِيشِ وَالنَّبَاتِ وَالْقُمَاشِ ﴿أَحْوَىٰ﴾ أَسْوَدَ بَعْدَ الْخُضْرَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْكَلَأَ إِذَا جَفَّ وَيَبِسَ اسْوَدَّ ، وَالْأَحْوَىٰ: الْأَسْوَدُ، أَيْ إِنَّ النَّبَاتَ يَضْرِبُ إِلَىٰ الْحُوَّةِ مِنْ شِدَّةِ الْخُضْرَةِ كَالْأَسْوَدِ.

[٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ سَنُعَلِّمُكَ بِقِرَاءَةِ جِبْرِيلَ عَلَيْكَ، ﴿فَلَا تَنْسَىٰ﴾ فِيهِ تَأْوِيلَانِ:

التَّأْوِيلُ الْأَوَّلُ: أَيْ: سَنُقْرِئُكَ يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْقُرْآنَ فَتَحْفَظُ وَلَا تَنْسَىٰ مَا تَقْرَؤُهُ.

التَّأْوِيلُ الثَّانِي: قِيلَ بَلْ قَوْلُهُ ﴿فَلَا تَنْسَىٰ﴾ طَلَبٌ، أَيْ لَا تَنْسَىٰ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكَ، وَقَالَ الْجُنَيْدُ: ﴿فَلَا تَنْسَىٰ﴾ الْعَمَلَ بِهِ.

[٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ﴾ أَنْ تَنْسَاهُ وَمَا نَسَخَ اللهُ تلاوته من القرآن، ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، ﴿وَمَا يَخْفَىٰ﴾ مِنْهُمَا، وَالْمَعْنَىٰ: أَنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ والعلانية.

[٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ قَالَ مُقَاتِلٌ: نُهَوِّنُ عَلَيْكَ عَمَلَ الْجَنَّةِ، وَهُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ: نُيَسِّرُكَ لِأَنْ تَعْمَلَ خَيْرًا، وَالْيُسْرَىٰ عَمَلُ الْخَيْرِ، وَقِيلَ: نُوَفِّقُكَ لِلشَّرِيعَةِ الْيُسْرَىٰ وَهِيَ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ.

[٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَذَكِّرْ﴾ عِظْ بِالْقُرْآنِ، ﴿إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ الْمَوْعِظَةُ وَالتَّذْكِيرُ، وَالْمَعْنَىٰ: نَفَعَتْ أَوْ لم تنفع.

[١٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ سيتعظ، ﴿مَنْ يَخْشَىٰ﴾ الله عز وجل.

[١١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ أَيْ يَتَجَنَّبُ الذِّكْرَىٰ وَيَتَبَاعَدُ عَنْهَا، ﴿الْأَشْقَىٰ﴾ الشَّقِيُّ فِي عِلْمِ اللهِ.

[١٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿الَّذِي يَصْلَىٰ النَّارَ الْكُبْرَىٰ﴾ الْعَظِيمَةَ وَالْفَظِيعَةَ لِأَنَّهَا أَعْظَمُ وَأَشَدُّ حَرًّا مِنْ نَارِ الدُّنْيَا ، قال الْحَسَنِ البصري : الْكُبْرَىٰ نَارُ جَهَنَّمَ، وَالصُّغْرَىٰ نَارُ الدُّنْيَا.

[١٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح، ﴿وَلَا يَحْيَا﴾ حَيَاةً تَنْفَعُهُ. وَقَالَ يَحْيَىٰ بْنُ سَلَّامٍ: لَا يَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ مِنَ الْعَذَابِ، وَلَا يَحْيَا حَيَاةً تَنْفَعُهُ.

[١٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ﴾ تَطَهَّرَ مِنَ الشِّرْكِ وَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَقَالَ الْحَسَنُ: مَنْ كَانَ عَمَلُهُ زَاكِيًا، وَقَالَ آخرون: هو صَدَقَةَ الْفِطْرِ، وقيل

لِعَطَاءٍ: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ لِلْفِطْرِ؟ قَالَ: هِيَ لِلصَّدَقَاتِ كُلِّهَا، وَقِيلَ: هِيَ زَكَاةُ الْأَعْمَالِ، لَا زَكَاةُ الْأَمْوَالِ، أَيْ تَطَهَّرَ فِي أَعْمَالِهِ مِنَ الرِّيَاءِ وَالتَّقْصِيرِ، لِأَنَّ الْأَكْثَرَ أَنْ يُقَالَ فِي الْمَالِ: زَكَّىٰ، لَا تَزَكَّىٰ.

[١٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ قَالَ: خَرَجَ إِلَىٰ الْعِيدِ فَصَلَّىٰ صلاته، وَقِيلَ: الصَّلَاةُ هَاهُنَا الدُّعَاءُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ ذِكْرَ مَعَادَهُ وَمَوْقِفَهُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، فَعَبَدَهُ وَصَلَّىٰ لَهُ.

[١٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أَيْ: تُقَدِّمُونَهَا عَلَىٰ أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَتُبِدُّونَهَا عَلَىٰ مَا فِيهِ نَفْعُكُمْ وَصَلَاحُكُمْ فِي مَعَاشِكُمْ وَمَعَادِكُمْ.

[١٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ قَالَ قَتَادَةُ: خَيْرٌ فِي الْخَيْرِ، وَأَبْقَىٰ فِي الْبَقَاءِ، وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَزِينَةُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَأَبْقَىٰ بَقَاءً، لِأَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَانِيَةٌ، وَالْآخِرَةَ بَاقِيَةٌ، لَا تَنْفَدُ وَلَا تَفْنَىٰ.

قَالَ عَرْفَجَةُ الْأَشْجَعِيُّ: كُنَّا عِنْدَ ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ، فَقَالَ لَنَا: أَتَدْرُونَ لِمَ آثَرْنَا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ؟ قُلْنَا: لَا، قَالَ: لِأَنَّ الدُّنْيَا أُحْضِرَتْ وَعُجِّلَ لَنَا طَعَامُهَا وَشَرَابُهَا وَنِسَاؤُهَا وَلَذَّاتُهَا وَبَهْجَتُهَا، وَأَنَّ الْآخِرَةَ نُعِتَتْ لَنَا وَزُوِيَتْ عَنَّا فَأَحْبَبْنَا الْعَاجِلَ وتركنا الآجل.

[١٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ مَا تَقَدَّمَ مِنْ مَضْمُونِ هَذِهِ السُّورَةِ، وَتَعْرِيفِ مِنْهَاجِ الْفَلَاحِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَارِدٌ فِي تِلْكَ الصُّحُفِ الْمُكَرَّمَةِ ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ أي الْكُتُبِ الْأُولَىٰ الَّتِي أُنْزِلَتْ قَبْلَ الْقُرْآنِ ذَكَرَ فِيهَا فَلَاحَ

الْمُتَزَكِّي وَالْمُصَلِّي وَإِيثَارَ الْخَلْقِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ. ثُمَّ بَيَّنَ الصُّحُفَ فَقَالَ:

[١٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ يَعْنِي الْكُتُبَ الْمُنَزَّلَةَ عَلَيْهِمَا، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَلَمْ يُرِدْ أَنَّ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ بِعَيْنِهَا فِي تِلْكَ الصُّحُفِ، وَإِنَّمَا هُوَ عَلَىٰ الْمَعْنَىٰ، أَيْ إِنَّ مَعْنَىٰ هَذَا الْكَلَامِ وَارِدٌ فِي تِلْكَ الصُّحُفِ.

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ الْأَعْلَىٰ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بالاتفاق

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ قَدْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْقِيَامَةِ تَغْشَىٰ كُلَّ شَيْءٍ بِالْأَهْوَالِ، هَلْ بِمَعْنَىٰ قَدْ، كَقَوْلِهِ: ﴿هَلْ أَتىٰ عَلَىٰ الْإِنْسانِ﴾ [الإنسان: ١].

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ يعني يوم القيامة، ﴿خَاشِعَةٌ﴾ قَالَ سُفْيَانُ: أَيْ ذَلِيلَةٌ بِالْعَذَابِ، وَكُلُّ مُتَضَائِلٍ سَاكِنٌ خَاشِعٌ، يُقَالُ: خَشَعَ فِي صَلَاتِهِ: إِذَا تَذَلَّلَ وَنَكَّسَ رَأْسَهُ.

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْنِي الَّذِينَ عَمِلُوا وَنَصَبُوا فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَكُفَّارِ أَهْلِ الْكِتَابِ مِثْلَ الرُّهْبَانِ وَغَيْرِهِمْ لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُمْ اجْتِهَادًا فِي ضَلَالَةٍ، يَدْخُلُونَ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَعْنَىٰ النَّصَبِ الدَّأْبُ فِي الْعَمَلِ بالتعب، وناصِبَةٌ أَيْ تَعِبَةٌ، وقال عكرمة: عامدة فِي الدُّنْيَا بِالْمَعَاصِي، نَاصِبَةٌ فِي الآخرة في النار، وقال الْحَسَنُ البصري: لَمْ تَعْمَلْ لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا فَأَعْمَلَهَا وَأَنْصَبَهَا فِي النَّارِ، ويروىٰ أن عُمَرُ بْنُ

الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما قدم الشَّامَ أَتَاهُ رَاهِبٌ شَيْخٌ كَبِيرٌ مُتَقَهِّلٌ « التَّقَهُّلُ: رَثَاثَةُ الْهَيْئَةِ»، عَلَيْهِ سَوَادٌ، فَلَمَّا رَآهُ عُمَرُ بَكَىٰ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: هَذَا الْمِسْكِينُ طَلَبَ أَمْرًا فَلَمْ يُصِبْهُ، وَرَجَا رَجَاءً فَأَخْطَأَهُ، وَقَرَأَ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ. عامِلَةٌ ناصِبَةٌ﴾.

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ أَيْ يُصِيبُهَا صِلاؤُهَا وَحَرُّهَا، حامِيَةً: شَدِيدَةُ الْحَرِّ، أَيْ قَدْ أُوقِدَتْ وَأُحْمِيَتِ الْمُدَّةَ الطَّوِيلَةَ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَدْ حَمِيَتْ فَهِيَ تَتَلَظَّىٰ عَلَىٰ أَعْدَاءِ اللهِ.

[٥] قَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ مُتَنَاهِيَةٍ فِي الْحَرَارَةِ قَدْ أُوقِدَتْ عَلَيْهَا جَهَنَّمُ مُنْذُ خُلِقَتْ، فَدُفِعُوا إِلَيْهَا وِرْدًا عِطَاشًا ، قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: لَوْ وَقَعَتْ مِنْهَا قَطْرَةٌ عَلَىٰ جِبَالِ الدُّنْيَا لَذَابَتْ، هَذَا شَرَابُهُمْ، ثُمَّ ذَكَرَ طَعَامَهُمْ فَقَالَ:

[٦] : ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ قال مجاهد: هُوَ نَبْتٌ ذُو شَوْكٍ لَاطِئٍ بِالْأَرْضِ، تُسَمِّيهِ قُرَيْشٌ الشَّبْرَقَ فَإِذَا هَاجَ سُمَّوْهَا الضَّرِيعَ، وَهُوَ أَخْبَثُ طعام وأبشعه، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ الضَّرِيعَ الشَّوْكُ الْيَابِسُ الذي ليس لَهُ وَرَقٌ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ شوك من نار .

[٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ أَيْ: لَا يُخْصِبُ الْبَدَنُ وَلَا يَحْصُلُ بِهِ مَقْصُودٌ، وَلَا يَسْكُنُ دَاعِيَةُ النَّفْسِ وَلَا نَهَمُهَا وَلَا يَنْدَفِعُ بِهِ مَحْذُورٌ. ثُمَّ وَصَفَ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَقَالَ:

[٨] : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ أَيْ ذَاتُ نِعْمَةٍ وَبَهْجَةٍ، وَهِيَ وُجُوهُ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ الطَّبَرِيُّ: هِيَ نَاعِمَةٌ بِتَنْعِيمِ اللهِ أَهْلَهَا فِي جَنَّاتِهِ، وَهُمْ أَهْلُ الْإِيمَانِ بِاللهِ، قَالَ مُقَاتِلٌ: فِي نِعْمَةٍ وَكَرَامَةٍ.

[٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِسَعْيِهَا﴾ أَيْ: لِعَمَلِهَا الَّذِي عَمِلَتْهُ فِي الدُّنْيَا رَاضِيَةٌ، ﴿رَاضِيَةٌ﴾ فِي الْآخِرَةِ حِينَ أُعْطِيَتِ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهَا.

[١٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أَيْ رَفِيعَةٌ بَهِيَّةٌ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ.

[١١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ أَيْ لا تسمع فِي الْجَنَّةِ الَّتِي هُمْ فِيهَا كَلِمَةَ لَغْوٍ، قَالَ قَتَادَةُ: لَا تَسْمَعُ فِيهَا بَاطِلًا، وَلَا شَاتِمًا.

[١٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ أَيْ سَارِحَةٌ وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهَا عَيْنٌ وَاحِدَةً وَإِنَّمَا هَذَا جِنْسٌ يَعْنِي فِيهَا عُيُونٌ جاريات.

[١٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴾ أَيْ عَالِيَةٌ نَاعِمَةٌ، كَثِيرَةُ الْفُرُشِ مُرْتَفِعَةُ السَّمْكِ، عَلَيْهَا الْحُورُ الْعِينُ ، فَإِذَا أَرَادَ وَلِيُّ اللهِ أَنْ يَجْلِسَ عَلَىٰ تِلْكَ السُّرُرِ الْعَالِيَةِ تَوَاضَعَتْ لَهُ.

[١٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ يَعْنِي أَوَانِي الشُّرْبِ مُعَدَّةٌ مُرْصَدَةٌ لِمَنْ أَرَادَهَا.

[١٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: النَّمَارِقُ الْوَسَائِدُ.

[١٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَزَرَابِيُّ﴾ يَعْنِي الْبُسُطَ الْعَرِيضَةَ ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ مَبْسُوطَةٌ، وَقِيلَ: مُتَفَرِّقَةٌ فِي الْمَجَالِسِ.

[١٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ: لَمَّا نَعَتَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي هَذِهِ السُّورَةِ مَا فِي الْجَنَّةِ عَجِبَ مِنْ ذَلِكَ أَهْلُ الْكُفْرِ وَكَذَّبُوهُ، فَذَكَرَ لَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ صُنْعَهُ فَقَالَ: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ وكانت الإبل أعظم عَيْشِ الْعَرَبِ، لَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كثيرة فكما صَنَعَ لَهُمْ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا صَنَعَ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ فِيهَا مَا صنع.

[١٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَىٰ السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ عَنِ الْأَرْضِ حَتَّىٰ لَا يَنَالَهَا شيء يغيرها.

[١٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَىٰ الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ مُرْسَاةً لَا تَزُولُ ، وَالنَّصْبُ: الرَّفْعُ أَيْ كَيْفَ رُفِعَتْ وَهِيَ مَعَ ارْتِفَاعِهَا ثَابِتَةٌ رَاسِخَةٌ لَا تَمِيلُ.

[٢٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَىٰ الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ بُسِطَتْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَلْ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَ الْإِبِلِ أَوْ يَرْفَعَ مِثْلَ السَّمَاءِ أَوْ يَنْصِبَ مِثْلَ الْجِبَالِ أَوْ يَسْطَحَ مِثْلَ الْأَرْضِ غَيْرِي؟.

[٢١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ أيْ فَعِظْهُمْ يَا مُحَمَّدُ وَخَوِّفْهُمْ. إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ أَيْ وَاعِظٌ.

[٢٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾ بِمُسَلَّطٍ فَتَقْتُلَهُمْ وَتُكْرِهَهُمْ عَلَىٰ الْإِيمَانِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَقُولُ: لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ، نَسَخَتْهَا آيَةُ الْقِتَالِ.

[٢٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ﴾ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ عَمَّا قَبْلَهُ مَعْنَاهُ لكن من تولىٰ، ﴿وَكَفَرَ﴾ بَعْدَ التَّذْكِيرِ.

[٢٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ وَهُوَ أَنْ يُدْخِلَهُ النَّارَ، وَإِنَّمَا قَالَ (الْأَكْبَرَ) لِأَنَّهُمْ عُذِّبُوا فِي الدُّنْيَا بِالْجُوعِ وَالْقَحْطِ وَالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ.

[٢٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ رُجُوعَهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ، يُقَالُ: آبَ يَؤُوبُ أَوْبًا وَإِيَابًا ، قَالَ قَتَادَةُ: إِنَّ إِلَىٰ اللهِ الْإِيَابَ، وَعَلَيْهِ الْحِسَابَ .

[٢٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ يَعْنِي جَزَاءَهُمْ بَعْدَ الْمَرْجِعِ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ الْغَاشِيَةِ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ

سُورَةُ الْفَجْرَ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِالاتِّفَاقِ

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ أَقْسَمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْفَجْرِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ انْفِجَارُ الصُّبْحِ كُلَّ يَوْمٍ ، وَقَالَ عَطِيَّةُ عَنْهُ: صَلَاةُ الصُّبْحِ ، وَقَالَ قَتَادَةُ: هُوَ فَجْرُ أَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الْمُحَرَّمِ تَنْفَجِرُ مِنْهُ السَّنَةُ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: فَجْرُ ذِي الحجة لأنه قرن بِهِ اللَّيَالِي الْعَشْرُ ، ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَنَّهَا الْعَشْرُ الْأُوَلُ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وقد ثبت في صحيح البخاري: «**مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ**» يَعْنِي عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ، قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: «**وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا رجُلاً خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، ثُمَّ لَمْ يرجع من ذلك بشيء**»(١).

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ الشفع: الزوج، والوتر: الفرد، اختلفوا فِي الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ، قِيلَ: الشَّفْعُ الْخَلْقُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ وَالْوَتْرُ: هُوَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً**

---

(١) البخاري (٩٦٩) .

إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ » ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الشَّفْعُ وَالْوَتْرُ الْخَلْقُ كُلُّهُ مِنْهُ شَفْعٌ وَمِنْهُ وَتْرٌ، قَالَ الحسن البصري: هُوَ الْعَدَدُ مِنْهُ شَفْعٌ وَمِنْهُ وَتْرٌ، وَقَالَ قَتَادَةُ: هُمَا الصَّلَوَاتُ مِنْهَا شَفْعٌ وَمِنْهَا وِتْرٌ. قَالَ الطَّبَرِيُّ: وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَقْسَمَ بِالشَّفْعِ وَالْوِتْرِ، وَلَمْ يُخَصِّصْ نَوْعًا مِنَ الشَّفْعِ وَلَا مِنَ الْوِتْرِ دُونَ نَوْعٍ بِخَبَرٍ وَلَا عَقْلٍ، وَكُلُّ شَفْعٍ وَوِتْرٍ فَهُوَ مِمَّا أَقْسَمَ بِهِ، مِمَّا قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ إِنَّهُ دَاخِلٌ فِي قَسَمِهِ هَذَا، لِعُمُومِ قَسَمِهِ بِذَلِكَ.

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ أَيْ إِذَا سَارَ وَذَهَبَ ، وَقَالَ قَتَادَةُ: إِذَا جَاءَ وَأَقْبَلَ وَأَرَادَ كل ليلة.

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ﴾ أي فيما ذكرت، ﴿قَسَمٌ﴾ أَيْ مَقْنَعٌ وَمُكْتَفًىٰ فِي الْقَسَمِ، ﴿لِذِي حِجْرٍ﴾ للذي عَقْلٍ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَحْجُرُ صَاحِبَهُ عَمَّا لَا يَحِلُّ وَلَا يَنْبَغِي، وَأَصْلُ الْحَجْرِ الْمَنْعُ ، قَالَ الْفَرَّاءُ: الْكُلُّ يَرْجِعُ إِلَىٰ مَعْنًىٰ وَاحِدٍ: لِذِي حِجْرٍ، وَلِذِي عَقْلٍ، وَلِذِي حِلْمٍ، وَلِذِي سِتْرٍ، الْكُلُّ بِمَعْنَىٰ الْعَقْلِ.

[٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ قَالَ الفَرَّاءُ: أَلَمْ تُخْبَرْ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: أَلَمْ تَعْلَمْ وَمَعْنَاهُ التَّعَجُّبُ.

[٦-٧] : ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ - إِرَمَ﴾ يُخَوِّفُ أَهْلَ مَكَّةَ يَعْنِي كَيْفَ أَهْلَكَهُمْ، وَهُمْ كَانُوا أَطْوَلَ أَعْمَارًا وَأَشَدَّ قُوَّةً مِنْ هَؤُلَاءِ، وَإِرَمُ: اسْمٌ آخَرُ لِعَادٍ الْأُولَىٰ، فَهُوَ عَلَىٰ سَبِيلِ زِيَادَةِ التَّعْرِيفِ بِهِمْ. وَهُمُ الَّذِينَ بَعَثَ اللهُ فِيهِمْ هُودًا -

صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَذَّبُوهُ، وَعَتَوْا فِي الْأَرْضِ مُتَمَرِّدِينَ جَبَّارِينَ، فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ.

[٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ وَسُمُّوا ذَاتَ الْعِمَادِ لِهَذَا لِأَنَّهُمْ كانوا أَهْلَ عُمُدٍ وَخِيَامٍ وَمَاشِيَةٍ سَيَّارَةٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: سُمُّوا ذَاتَ الْعِمَادِ لِطُولِ قَامَتِهِمْ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يعني طولهم مثل العماد، وَقَوْلُهُ: ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ ، أَيْ لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُ تِلْكَ الْقَبِيلَةِ فِي الطُّولِ وَالْقُوَّةِ، وَهُمُ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ وَقِيلَ: سُمُّوا ذَاتَ الْعِمَادِ لِبِنَاءٍ بناه بعضهم.

[٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَثَمُودَ﴾ أَيْ وَبِثَمُودَ، ﴿الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ﴾ قَطَعُوا الْحَجَرَ، ﴿بِالْوَادِ﴾ يَعْنِي وَادِي الْقُرَىٰ كَانُوا يَقْطَعُونَ الْجِبَالَ فَيَجْعَلُونَ فِيهَا بُيُوتًا، وَفِي لُغَةِ الْعَرَبِ: اجْتَابَ الثَّوْبَ أَيْ فَتَحَهُ، وَمِنْهُ الْجَيْبُ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَنْحِتُونَهَا وَيَخْرِقُونَهَا، وَقَالَ قَتَادَةُ: جَابُوهَا وَنَحَتُوهَا بُيُوتًا.

[١٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يُعَذِّبُ النَّاسَ بِالْأَوْتَادِ، وقَالَ السَّعْدِيُّ : أَيْ ذِي الْجُنُودِ الَّذِينَ ثَبَّتُوا مُلْكَهُ، كَمَا تُثَبِّتُ الْأَوْتَادُ مَا يُرَادُ إِمْسَاكُهُ بِهَا.

[١١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ يَعْنِي عَادًا وَثَمُودَ وَفِرْعَوْنَ عَمِلُوا فِي الْأَرْضِ بِالْمَعَاصِي وَتَجَبَّرُوا. وَتَجَاوَزُوا الْقَدْرَ فِي الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ.

[١٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ أَيِ الْجَوْرَ وَالْأَذَىٰ.

[١٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ أَيْ نَصِيبَ عَذَابٍ. وَيُقَالُ: شِدَّتُهُ، لِأَنَّ السَّوْطَ كَانَ عِنْدَهُمْ نِهَايَةَ مَا يُعَذَّبُ بِهِ، قَالَ قَتَادَةُ: يَعْنِي لَوْنًا مِنَ الْعَذَابِ صَبَّهُ عَلَيْهِمْ، قَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي: هَذَا عَلَىٰ الِاسْتِعَارَةِ لِأَنَّ السَّوْطَ عِنْدَهُمْ غَايَةُ الْعَذَابِ، فَجَرَىٰ ذَلِكَ لِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْعَذَابِ، قال الزَّجَّاجُ: جَعَلَ سَوْطَهُ الَّذِي ضَرَبَهُمْ بِهِ الْعَذَابَ.

[١٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ أَيْ يَرْصُدُ عَمَلَ كُلِّ إِنْسَانٍ حَتَّىٰ يُجَازِيَهُ بِهِ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْنِي بِحَيْثُ يرىٰ ويسمع ويبصر ما تقول وتفعل وتهجس به العباد ، قَالَ الْكَلْبِيُّ: عَلَيْهِ طَرِيقُ الْعِبَادِ لَا يَفُوتُهُ أَحَدٌ، قَالَ مُقَاتِلٌ: مَمَرُّ النَّاسِ عَلَيْهِ، وَالْمِرْصَادُ وَالْمَرْصَدُ: الطَّرِيقُ، وَقِيلَ: مَرْجِعُ الْخَلْقِ إِلَىٰ حُكْمِهِ وَأَمْرِهِ وَإِلَيْهِ مَصِيرُهُمْ ، وَقَالَ الْحَسَنُ وَعِكْرِمَةُ: يَرْصُدُ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ، وَالْمَعْنَىٰ: أَنَّهُ لَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ كَمَا لَا يَفُوتُ مَنْ هُوَ بِالْمِرْصَادِ.

[١٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسانُ﴾ يَعْنِي الْكَافِرَ ، ﴿إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾ امتحنه، ﴿رَبُّهُ﴾ بالنعمة، ﴿فَأَكْرَمَهُ﴾ بالمال، ﴿وَنَعَّمَهُ﴾ بِمَا وَسَّعَ عَلَيْهِ، ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ بِمَا أَعْطَانِي.

[١٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾ بالفقر، ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ أَيْ ضَيَّقَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ، وَقِيلَ: قَدَّرَ بِمَعْنَىٰ قَتَّرَ وَأَعْطَاهُ قَدْرَ مَا يَكْفِيهِ، ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ أَذَلَّنِي بِالْفَقْرِ، وَهَذَا يَعْنِي بِهِ الْكَافِرَ تَكُونُ الْكَرَامَةُ وَالْهَوَانُ عِنْدَهُ بِكَثْرَةِ الْمَالِ وَالْحَظِّ فِي الدُّنْيَا وقلته ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : الْآيَتَانِ صِفَةُ كُلِّ كَافِرٍ ، وَكَثِيرٌ مِنَ

الْمُسْلِمِينَ يَظُنُّ أَنَّ مَا أَعْطَاهُ اللهُ لِكَرَامَتِهِ وَفَضِيلَتِهِ عِنْدَ اللهِ، وَرُبَّمَا يَقُولُ بِجَهْلِهِ: لَوْ لَمْ أستحق هذا لم يعطينه اللهُ. وَكَذَا إِنْ قَتَرَ عَلَيْهِ يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ لِهَوَانِهِ عَلَىٰ اللهِ.

[١٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا﴾ رَدٌّ، أَيْ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يُظَنُّ، لم أبتله بالمغنىٰ لِكَرَامَتِهِ وَلَمْ أَبْتَلِهِ بِالْفَقْرِ لِهَوَانِهِ، فَأَخْبَرَ أَنَّ الْإِكْرَامَ وَالْإِهَانَةَ لَا تَدُورُ عَلَىٰ الْمَالِ وَسَعَةِ الرِّزْقِ، وَلَكِنَّ الْفَقْرَ وَالْغِنَىٰ بِتَقْدِيرِهِ فَيُوَسِّعُ علىٰ الكافر لا لكرامته، وبقدر عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ لَا لِهَوَانِهِ، إِنَّمَا يكرم المرء بطاعته ويهينه بمعصيته، ﴿بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ لا تحسنوا إِلَيْهِ. وَقِيلَ: لَا تُعْطُونَهُ حَقَّهُ.

[١٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ أَيْ لَا تَأْمُرُونَ بِإِطْعَامِهِ، أَيْ يَحُضُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، مِنَ الْحَضِّ، وَهُوَ الْحَثُّ.

[١٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾ أي الميراث، وهو الْمَالُ الْمَوْرُوثُ، أَيِ الَّذِي يُخْلِفُهُ الرَّجُلُ بَعْدَ مَوْتِهِ لِوَارِثِهِ، ﴿أَكْلًا لَمًّا﴾ شديداً يَأْكُلَ نَصِيبَهُ وَنَصِيبَ غَيْرِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُوَرِّثُونَ النِّسَاءَ وَلَا الصِّبْيَانَ، وَيَأْكُلُونَ نَصِيبَهُمْ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْأَكْلُ اللَّمُّ الَّذِي يَأْكُلُ كُلَّ شَيْءٍ يَجِدُهُ لَا يَسْأَلُ عَنْهُ أَحَلَالٌ هُوَ أَمْ حَرَامٌ، وَيَأْكُلُ الَّذِي لَهُ وَلِغَيْرِهِ. قَالَ الْحَسَنُ: يَأْكُلُ نَصِيبَهُ وَنَصِيبَ غَيْرِهِ.

[٢٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ أَيْ كَثِيرًا، حَلَالُهُ وَحَرَامُهُ، وَالْجَمُّ الْكَثِيرُ، يقال: جم المال فِي الْحَوْضِ إِذَا كَثُرَ وَاجْتَمَعَ.

[٢١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا﴾ مَا هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ، فَهُوَ رَدٌّ لِانْكِبَابِهِمْ عَلَىٰ الدُّنْيَا، وَجَمْعِهِمْ لَهَا، فَإِنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ يَنْدَمُ يوم تدك الأرض، يَنْفَعُ النَّدَمُ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: أَيْ لَا يَفْعَلُونَ مَا أُمِرُوا بِهِ مِنْ إِكْرَامِ الْيَتِيمِ وَإِطْعَامِ الْمِسْكِينِ، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ تَلَهُّفِهِمْ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْهُمْ حِينَ لَا يَنْفَعُهُمْ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ وَكُسِرَ كُلُّ شَيْءٍ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ جَبَلٍ وَبِنَاءٍ وَشَجَرٍ فَلَمْ يَبْقَ عَلَىٰ ظهرها شيء، وَالدَّكُّ: الْكَسْرُ وَالدَّقُّ، أَيْ زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ، وَحُرِّكَتْ تَحْرِيكًا بَعْدَ تَحْرِيكٍ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: أَيْ زُلْزِلَتْ فَدَكَّ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَقَالَ الْمُبَرِّدُ: أَيْ أُلْصِقَتْ وَذَهَبَ ارْتِفَاعُهَا، يُقَالُ نَاقَةٌ: دَكَّاءُ، أَيْ لَا سَنَامَ لَهَا.

[٢٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾ قَالَ السَّعْدِيُّ: وَيَجِيءُ اللهُ تَعَالَىٰ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ، وَتَجِيءُ الْمَلَائِكَةُ الْكِرَامُ، أَهْلُ السَّمَاوَاتِ كُلُّهُمْ، ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ أَيْ: صَفًّا بَعْدَ صَفٍّ، كُلُّ سَمَاءٍ يَجِيءُ مَلَائِكَتُهَا صَفًّا، يُحِيطُونَ بِمَنْ دُونَهُمْ مِنَ الْخَلْقِ، وَهَذِهِ الصُّفُوفُ صُفُوفُ خُضُوعٍ وَذُلٍّ لِلْمَلِكِ الْجَبَّارِ.

[٢٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ﴾ يَعْنِي يَوْمَ يُجَاءُ بِجَهَنَّمَ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ، لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ**

مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا »[1] ، ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ﴾ يَتَّعِظُ وَيَتُوبُ الْكَافِرُ، ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ أَيْ وَمِنْ أَيْنَ لَهُ الِاتِّعَاظُ وَالتَّوْبَةُ وَقَدْ فَرَّطَ فِيهَا فِي الدُّنْيَا.

[٢٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ أَيْ قَدَّمْتُ الْخَيْرَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ لِحَيَاتِي فِي الْآخِرَةِ، أَيْ لِآخِرَتِي الَّتِي لَا مَوْتَ فِيهَا.

[٢٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ أَيْ لَا يُعَذِّبُ كَعَذَابِ اللهِ أَحَدٌ.

[٢٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ أي لَا يُعَذَّبُ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا كَعَذَابِ اللهِ يَوْمَئِذٍ، وَلَا يُوثَقُ كوثاقه يَوْمَئِذٍ، وَقِيلَ: لَا يعذب أحد من الدُّنْيَا كَعَذَابِ اللهِ الْكَافِرَ يَوْمَئِذٍ، وَلَا يُوثَقُ كَوَثَاقِهِ أَحَدٌ، يَعْنِي لَا يَبْلُغُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ كَبَلَاغِ اللهِ فِي الْعَذَابِ، وَالْوَثَاقِ وهو الْإِسَارُ فِي السَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ.

[٢٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ إِلَىٰ مَا وَعَدَ اللهُ الْمُصَدِّقَةَ بِمَا قَالَ اللهُ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيِ الْمُطْمَئِنَّةُ بِثَوَابِ اللهِ ، وقال مجاهد : وَالنَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ: السَّاكِنَةُ الْمُوقِنَةُ، أَيْقَنَتْ أَنَّ اللهَ رَبَّهَا، فَأَخْبَتَتْ لِذَلِكَ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْمُطْمَئِنَّةُ لِأَنَّهَا بُشِّرَتْ بِالْجَنَّةِ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَعِنْدَ الْبَعْثِ، وَيَوْمَ الْجَمْعِ.

[٢٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: أَيْ إِلَىٰ جِوَارِهِ وَثَوَابِهِ وَمَا أَعَدَّ لِعِبَادِهِ فِي جَنَّتِهِ ﴿رَاضِيَةً﴾ أَيْ فِي نَفْسِهَا، ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ أَيْ قَدْ رَضِيَتْ عَنِ اللهِ، وَرَضِيَ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا، قَالَ

---

(١) مسلم (٢٨٤٢) .

ابْنُ عَبَّاسٍ: تُرَدُّ الْأَرْوَاحُ الْمُطْمَئِنَّةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْأَجْسَادِ، وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ - فِي احْتِضَارِ الْمُؤْمِنِ - قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ** - وَفِي رِوَايَةٍ: الْمُطْمَئِنَّةُ - **اخْرُجِي إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ** ».

[٢٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ أَيْ مَعَ عِبَادِي فِي جَنَّتِي، وَقِيلَ: فِي جُمْلَةِ عِبَادِي الصَّالِحِينَ المطيعين المصطفين.

[٣٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ أَيْ: وَادْخُلِي جَنَّتِي مَعَهُمْ، وَهِيَ دَارُ الْخُلُودِ مَسْكَنُ الْأَبْرَارِ، وَدَارُ الصَّالِحِينَ وَالْأَخْيَارِ.

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفَجْرِ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

سُورَةُ الْبَلَدِ

وَهي مَكِّيَّةٌ بِالاتِّفَاقِ.

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا أُقْسِمُ﴾ يعني أقسم، ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ يَعْنِي مَكَّةَ، أَيْ أُقْسِمُ بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ، لِكَرَامَتِكَ عَلَيَّ وَحُبِّي لَكَ.

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ﴾ أَيْ حَلَالٌ، ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ وَفِيهِ تَأْوِيلَانِ:

التَّأْوِيلُ الْأَوَّلُ: أَيْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ. قَالَ مُجَاهِدٌ: أُحِلَّ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا صَنَعَ فِيهِ سَاعَةً ، وَقَالَ قَتَادَةُ: يَقُولُ: وَأَنْتَ بِهِ حِلٌّ لَسْتَ بِآثِمٍ.

وَالتَّأْوِيلُ الثَّانِي: أَيْ أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ الَّذِي أَنْتَ مُقِيمٌ بِهِ، تَشْرِيفًا لَكَ وَتَعْظِيمًا لِقَدْرِكَ، لِأَنَّهُ صَارَ بِحُلُولِكَ فِيهِ عَظِيمًا شَرِيفًا.

وَقِيلَ: الْمَعْنَىٰ: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمَّا أَقْسَمَ بِمَكَّةَ ، دَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ عظيم قدرها من حُرْمَتِهَا فَوَعَدَ نَبِيَّهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يَحِلُّهَا لَهُ حَتَّىٰ يُقَاتِلَ فِيهَا، وَأَنْ يَفْتَحَهَا عَلَىٰ يَدِهِ، فَهَذَا وَعْدٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْ يُحِلَّهَا لَهُ .

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ يَعْنِي آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذُرِّيَّتَهُ ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : أَقْسَمَ بِهِمْ لِأَنَّهُمْ أَعْجَبُ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ، لِمَا فِيهِمْ مِنَ التبيان وَالنُّطْقِ وَالتَّدْبِيرِ، وَفِيهِمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالدُّعَاةُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ :

[٤] : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فِي نَصَبٍ، وقَالَ الْحَسَنُ البصري: يُكَابِدُ مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَشَدَائِدَ الْآخِرَةِ ، وَقَالَ قَتَادَةُ: فِي مَشَقَّةٍ فَلَا تَلْقَاهُ إِلَّا يُكَابِدُ أَمْرَ الدُّنْيَا ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: فِي شِدَّةٍ ، وَالْكَبَدُ: الشِّدَّةُ وَالْمُعَانَاةُ، التَّقْدِيرُ: لَا يَزَالُ الْإِنْسَانُ فِي مُكَابَدَةِ شَدَائِدِ هَذِهِ الدُّنْيَا وَمُقَاسَاةِ آلَامِهَا حَتَّىٰ يَمُوتَ، فَإِذَا مَاتَ كَابَدَ شَدَائِدَ الْقَبْرِ وَالْبَرْزَخِ وَأَهْوَالَهُمَا، ثُمَّ إِذَا بُعِثَ كَابَدَ شَدَائِدَ الْآخِرَةِ ، وَفِيهِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا كَانَ يُكَابِدُهُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً .

[٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ أَيْ يَظُنُّ مِنْ شِدَّتِهِ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ اللهُ تَعَالَىٰ .

[٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾ يعني أنفقت، ﴿مَالًا لُبَدًا﴾ أَيْ كَثِيرًا بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنَ التَّلْبِيدِ فِي عَدَاوَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

[٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَقَتَادَةُ: أَيَظُنُّ أَنَّ اللهَ لَمْ يَرَهُ، وَلَا يَسْأَلُهُ عَنْ مَالِهِ مِنْ أين اكتسبه وأين أنفقه ، قَالَ الْحَسَنُ البصري: يَقُولُ أَتْلَفْتُ مَالًا كَثِيرًا، فَمَنْ يُحَاسِبُنِي بِهِ، دَعْنِي أَحْسِبْهُ ، أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَىٰ مُحَاسَبَتِهِ، وَأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَرَىٰ صَنِيعَهُ ، ثُمَّ عَدَّدَ عَلَيْهِ نِعَمَهُ فَقَالَ:

[٨] : ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ عَيْنَيْنِ يُبْصِرُ بِهِمَا.

[٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ وَلِسانـًا يَنْطِقُ به، وَشَفَتَيْنِ يستر بهما ثَغْرَهُ ، وَالْمَعْنَىٰ: نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ، وَنَحْنُ نَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ نَبْعَثَهُ وَنُحْصِيَ عَلَيْهِ مَا عَمِلَهُ ، قَالَ قَتَادَةُ: نِعَمُ اللهِ مُتَظَاهِرَةٌ يقررك بها كيما تشكر.

[١٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ قَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ: طَرِيقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْهُدَىٰ وَالضَّلَالَةِ، وَبَيَّنَّا لَهُ الْهُدَىٰ مِنَ الضَّلَالِ، وَالرُّشْدَ مِنَ الْغَيِّ ، قَالَ ابْنُ عَاشُورٍ : وَالنَّجْدُ: الْأَرْضُ الْمُرْتَفِعَةُ ارْتِفَاعًا دُونَ الْجَبَلِ. فَالْمُرَادُ هُنَا طَرِيقَانِ نَجْدَانِ مُرْتَفِعَانِ، وَالطَّرِيقُ قَدْ يَكُونُ مُنْجِدًا مُصْعِدًا، وَقَدْ يَكُونُ غَوْرًا مُنْخَفِضًا، وَاسْتُعِيرَ النَّجْدَانِ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَجُعِلَا نَجْدَيْنِ لِصُعُوبَةِ اتِّبَاعِ أَحَدِهِمَا وَهُوَ الْخَيْرُ فَغُلِّبَ عَلَىٰ الطَّرِيقَيْنِ، أَوْ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ صَعْبٌ بِاعْتِبَارٍ، فَطَرِيقُ الْخَيْرِ صُعُوبَتُهُ فِي سُلُوكِهِ، وَطَرِيقُ الشَّرِّ صُعُوبَتُهُ فِي عَوَاقِبِهِ، وَلِذَلِكَ عَبَّرَ عَنْهُ بعد هَذَا ب الْعَقَبَةَ.

[١١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ يَقُولُ: فَهَلَّا أَنْفَقَ مَالَهُ فِيمَا يجوز به العقبة مِنْ فَكِّ الرِّقَابِ وَإِطْعَامِ السَّغْبَانِ، فَيَكُونُ خَيْرًا لَهُ مِنْ إِنْفَاقِهِ عَلَىٰ عَدَاوَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هَذَا قَوْلُ ابْنِ زَيْدٍ وَجَمَاعَةٍ، وَقِيلَ: فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ أَيْ لَمْ يَقْتَحِمْهَا وَلَا جَاوَزَهَا ، وَالِاقْتِحَامُ: الدُّخُولُ فِي الْأَمْرِ الشَّدِيدِ، وَذِكْرُ الْعَقَبَةِ هَاهُنَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لِمُجَاهِدَةِ النَّفْسِ وَالْهَوَىٰ وَالشَّيْطَانِ فِي أَعْمَالِ الْبِرِّ، فَجَعَلَهُ كالذي يتكلف صعود العقبة، تقول لَمْ يَحْمِلْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الْمَشَقَّةَ

بِعِتْقِ الرَّقَبَةِ وَلَا طَعَامٍ ، وَقِيلَ: إِنَّهُ شَبَّهَ ثِقَلَ الذُّنُوبِ عَلَىٰ مُرْتَكِبِهَا بِعَقَبَةٍ ، فَإِذَا أَعْتَقَ رَقَبَةً وَأَطْعَمَ كَانَ كَمَنِ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَجَاوَزَهَا، وقال ابْنُ زَيْدٍ: يَقُولُ فَهَلَّا سَلَكَ الطريق التي فيها النجاة ثُمَّ بَيَّنَ مَا هِيَ فَقَالَ:

[١٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: كُلُّ شَيْءٍ قَالَ فِيهِ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ؟﴾ فَإِنَّهُ أَخْبَرَ بِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَالَ فِيهِ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ؟﴾ فَإِنَّهُ لَمْ يُخْبِرْ بِهِ.

[١٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ أراد بِفَكِّ الرَّقَبَةِ إِعْتَاقَهَا وَإِطْلَاقَهَا، وَمَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً كَانَتِ الرَّقَبَةُ فِدَاءَهُ مِنَ النَّارِ، أَيْ: فَكَّهَا مِنَ الرِّقِّ، بِعِتْقِهَا أَوْ مُسَاعَدَتِهَا عَلَىٰ أَدَاءِ كِتَابَتِهَا، وَمِنْ بَابِ أَوْلَىٰ فَكَاكُ الْأَسِيرِ الْمُسْلِمِ عِنْدَ الْكُفَّارِ.

[١٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ مَجَاعَةٍ، وَالسَّغَبُ: الْجُوعُ ، وَالسَّاغِبُ الْجَائِعُ ، وَقَالَ النَّخَعِيُّ: فِي يَوْمٍ عَزِيزٍ فِيهِ الطَّعَامُ.

[١٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أَيْ ذَا قَرَابَةٍ يُرِيدُ يَتِيمًا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ. يُعْلِمُكَ أَنَّ الصَّدَقَةَ عَلَىٰ الْقَرَابَةِ أَفْضَلُ مِنْهَا عَلَىٰ غَيْرِ الْقَرَابَةِ، كَمَا أَنَّ الصَّدَقَةَ عَلَىٰ الْيَتِيمِ الَّذِي لَا كَافِلَ لَهُ أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ عَلَىٰ الْيَتِيمِ الَّذِي يَجِدُ مَنْ يَكْفُلُهُ، وَأَهْلُ اللُّغَةِ يَقُولُونَ: سُمِّيَ يَتِيمًا لِضَعْفِهِ، يُقَالُ: يَتِمَ الرَّجُلَ يتما: إذا ضعف.

[١٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أي لا شي لَهُ، حَتَّىٰ كَأَنَّهُ قَدْ لَصِقَ بِالتُّرَابِ مِنَ الْفَقْرِ، لَيْسَ لَهُ مَأْوَىٰ إِلَّا التُّرَابَ ، وقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ الْمَطْرُوحُ فِي التُّرَابِ لا يقيه شيء ، والمَتْرَبَةِ: مَصْدَرُ تَرِبَ يَتْرَبُ تَرَبًا وَمَتْرَبَةً إِذَا افْتَقَرَ.

[١٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ثم بين أن هذا الْقُرَبَ إِنَّمَا تَنْفَعُ مَعَ الْإِيمَانِ، وَقِيلَ: (ثُمَّ) بِمَعْنَىٰ الْوَاوِ، ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ أَوْصَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ﴿بِالصَّبْرِ﴾ عَلَىٰ فَرَائِضِ اللهِ وَأَوَامِرِهِ، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ بِرَحْمَةِ النَّاسِ.

[١٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ أَصْحَابُ الْيَمِينِ، الَّذِينَ يُؤْخَذُ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَاتَ الْيَمِينِ إِلَىٰ الْجَنَّةَ.

[١٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ :﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ أَيْ: أَصْحَابُ الشِّمَالِ ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: أَيْ يَأْخُذُونَ كُتُبَهُمْ بِشَمَائِلِهِمْ، قَالَ يَحْيَىٰ بْنُ سَلَّامٍ : لِأَنَّهُمْ مَشَائِيمُ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ.

[٢٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ مُطْبَقَةٌ عَلَيْهِمْ أَبْوَابُهَا لَا يَدْخُلُ فِيهَا رَوْحٌ وَلَا يَخْرُجُ مِنْهَا غم، يُقَالُ: آصَدْتُ الْبَابَ وَأَوْصَدْتُهُ إِذَا أغلقته وأطبقته ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مُغْلَقَةُ الْأَبْوَابِ.

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ الْبَلَدِ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ

سُورَةُ الشَّمْسِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِالِاتِّفَاقِ، وَسَبَبُ نُزُولِهَا مَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ جُنْدُبِ ابْنِ سُفْيَانَ الْبَجَلِيِّ قَالَ: «دَمِيَتْ إِصْبَعُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاشْتَكَىٰ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ (وَهِيَ) أُمُّ جَمِيلٍ بِنْتُ حَرْبٍ زَوْجُ أَبِي لَهَبٍ، فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ لَمْ أَرَهُ قَرِبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَالضُّحىٰ . وَاللَّيْلِ إِذا سَجىٰ . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلىٰ﴾[1].

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ قَسَمٌ مِنَ اللهِ بِالشَّمْسِ وَنَهَارِهَا. فَإِنَّ الضُّحَىٰ وَقْتُ ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ بَعْدَ طُلُوعِهَا إِذَا تَمَّ ضِيَاؤُهَا، فَهُمَا قَسَمَانِ: أَقْسَمَ اللهُ بِالشَّمْسِ، وَأَقْسَمَ بِضُحَا الشَّمْسِ، قَالَ مُجَاهِدٌ وَالْكَلْبِيُّ: ضَوْؤُهَا، وَالضُّحَىٰ: حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ، فَيَصْفُو ضوؤها، قَالَ قَتَادَةُ: هُوَ النَّهَارُ كُلُّهُ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: حَرُّهَا، كَقَوْلِهِ فِي طه: ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ يَعْنِي لَا يُؤْذِيكَ الْحَرُّ.

---

(١) البخاري (٤٩٥٠) ومسلم (١٧٩٧).

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ تَبِعَهَا وَذَلِكَ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، تَلَاهَا الْقَمَرُ فِي الْإِضَاءَةِ وَخَلَفَهَا فِي النُّورِ ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: وَذَلِكَ حِينَ اسْتَدَارَ يَعْنِي كَمَلَ ضَوْؤُهُ ، فَصَارَ تَابِعًا لِلشَّمْسِ فِي الْإِنَارَةِ وَذَلِكَ فِي اللَّيَالِي الْبِيضِ.

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ أَيْ: جَلَّىٰ مَا عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ وَأَوْضَحَهُ ، وَقِيلَ: جَلَّىٰ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ حَيَوَانِهَا حَتَّىٰ ظَهَرَ، لِاسْتِتَارِهِ لَيْلًا وَانْتِشَارِهِ نَهَارًا.

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ يَعْنِي يَغْشَىٰ الشَّمْسَ حِينَ تَغِيبُ فَتُظْلِمُ الْآفَاقُ، قال بقية: إِذَا جَاءَ اللَّيْلُ قَالَ الرَّبُّ جلَّ جَلَالُهُ: غشي عبادي خلقي العظيم، فالليل تهابه، وَالَّذِي خَلَقَهُ أَحَقُّ أَنْ يَهَابَ.

[٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ أَيْ وَبُنْيَانِهَا. فَمَا مَصْدَرِيَّةٌ، كما قال: ﴿بِما غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ [يس: ٢٧] أَيْ بِغُفْرَانِ رَبِّي، وَاخْتَارَهُ الْمُبَرِّدُ، وَقِيلَ: الْمَعْنَىٰ وَمَنْ بَنَاهَا، ، وَهُوَ اخْتِيَارُ الطَّبَرِيِّ ، أَيْ وَمَنْ خَلَقَهَا وَرَفَعَهَا، وَهُوَ اللهُ تَعَالَىٰ .

[٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ بسطها، قَالَ السَّعْدِيُّ : أَيْ: مَدَّهَا وَوَسَّعَهَا، فَتَمَكَّنَ الْخَلْقُ حِينَئِذٍ مِنَ الِانْتِفَاعِ بِهَا، بِجَمِيعِ وُجُوهِ الِانْتِفَاعِ .

[٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ عَدَلَ خَلْقَهَا وَسَوَّىٰ أَعْضَاءَهَا، قَالَ عَطَاءٌ: يُرِيدُ جَمِيعَ مَا خَلَقَ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : وَهَذَا مَوْضِعُ

الْقَسَمِ أَيْ فَازَتْ وَسَعِدَتْ نَفْسٌ زَكَّاهَا اللهُ، أَيْ أَصْلَحَهَا وَطَهَّرَهَا مِنَ الذُّنُوبِ وَوَفَّقَهَا لِلطَّاعَةِ.

[٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : بَيَّنَ لَهَا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: أَلْزَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: جَعَلَ فِيهَا ذَلِكَ يَعْنِي بِتَوْفِيقِهِ إِيَّاهَا لِلتَّقْوَىٰ، وَخِذْلَانِهِ إِيَّاهَا لِلْفُجُورِ، وَحَمَلَ الْإِلْهَامَ عَلَىٰ التَّوْفِيقِ وَالْخِذْلَانِ، وَهَذَا يُبَيِّنُ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ فِي الْمُؤْمِنِ التَّقْوَىٰ وَفِي الْكَافِرِ الفجور.

[٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ أَفْلَحَ : فَازَ ، أَيْ: طَهَّرَ نَفْسَهُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَنَقَّاهَا مِنَ الْعُيُوبِ، وَرَقَّاهَا بِطَاعَةِ اللهِ، وَعَلَّاهَا بِالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ .

[١٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ أي خانت وَخَسِرَتْ نَفْسٌ أَضَلَّهَا اللهُ فَأَفْسَدَهَا ، وَقَالَ الْحَسَنُ البصري : مَعْنَاهُ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّىٰ نَفْسَهُ فَأَصْلَحَهَا وَحَمَلَهَا عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ أَيْ خَسِرَتْ نَفْسٌ دَسَّهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْمَعْصِيَةِ، فَجَعَلَ الفعل للنفس، ودساها أَصْلُهُ: دَسَّسَهَا مِنَ التَّدْسِيسِ، وَهُوَ إِخْفَاءُ الشَّيْءِ، فَأُبْدِلَتِ السِّينُ الثَّانِيَةُ ياء ، وَالْمَعْنَىٰ هَاهُنَا: أَخْمَلَهَا وَأَخْفَىٰ مَحَلَّهَا بالكفر والمعصية، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: خَابَتْ نَفْسٌ أَضَلَّهَا وَأَغْوَاهَا، وَقِيلَ: أَفْلَحَ مَنْ زَكَّىٰ نَفْسَهُ بِطَاعَةِ اللهِ، وَصَالِحِ

الْأَعْمَالِ، وَخَابَ مَنْ دَسَّ نَفْسَهُ فِي الْمَعَاصِي، وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا أَيْ دَسَّ نَفْسَهُ فِي جُمْلَةِ الصَّالِحِينَ وَلَيْسَ مِنْهُمْ.

[١١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ أَيْ بِطُغْيَانِهَا، وَهُوَ خُرُوجُهَا عَنِ الْحَدِّ فِي الْعِصْيَانِ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: بِطُغْيَانِهِمْ وَبِمَعْصِيَتِهِمْ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿بِطَغْوَاهَا﴾: بِمَعَاصِيهَا، وَالْمَقْصُودُ: بِسَبَبِ الْمَعَاصِي وَالطُّغْيَانِ، الَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَىٰ تَكْذِيبِ نَبِيِّ الرَّحْمَنِ، صَالِحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

[١٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ أَيْ قَامَ أشقىٰ القبيلة ، وَالِانْبِعَاثُ: هُوَ الْإِسْرَاعُ فِي الطَّاعَةِ لِلْبَاعِثِ، أَيْ كَذَّبُوا بِالْعَذَابِ وَكَذَّبُوا صَالِحًا لَمَّا انْبَعَثَ أَشْقَاهَا وَهُوَ قُدَارُ بْنُ سَالِفٍ، وكان عزيزًا في قومه شريفًا نسيبًا رئيسًا مطاعًا، فعقر الناقة ، وفي الحديث : خَطَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ النَّاقَةَ، وَذَكَرَ الَّذِي عَقَرَهَا، فَقَالَ: «﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ **انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَارِمٌ عَزِيزٌ منيع في رهطه مثل أبي زمعة**»(١) .

[١٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ﴾ صالح، ﴿نَاقَةَ اللهِ﴾ أَيِ احْذَرُوا عَقْرَ نَاقَةِ اللهِ ، أَنْ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ ﴿وَسُقْيَاهَا﴾ شُرْبَهَا أَيْ ذَرُوا نَاقَةَ اللهِ وَذَرُوا حصتها مِنَ الْمَاءِ، فَلَا تَعْرِضُوا لِلْمَاءِ يَوْمَ شُرْبِهَا ، وَالْمَقْصُودُ: فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَالِحٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- احْذَرُوا نَاقَةَ اللهِ وَذَرُوهَا، وَأَعْطُوهَا حَقَّهَا

---

(١) البخاري (٤٩٤٢) ومسلم (٢٨٥٥) .

مِنْ شِرْبِهَا مِنَ الْمَاءِ، فَلَا تَتَعَرَّضُوا لَهَا يَوْمَ شِرْبِهَا. وَحَقِيقَةُ الدَّمْدَمَةِ مُضَاعَفَةُ الْعَذَابِ وَتَرْدِيدُهُ ، وَيُقَالُ: دَمَمْتُ عَلَىٰ الشَّيْءِ: أَيْ أَطْبَقْتُ عَلَيْهِ، وَدَمَّمَ عَلَيْهِ الْقَبْرَ: أَطْبَقَهُ .

[١٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾أَيْ: فَكَذَّبُوا صَالِحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، حَتَّىٰ حَمَلَهُمْ تَكْذِيبُهُمْ عَلَىٰ عَقْرِ النَّاقَةِ الَّتِي أَخْرَجَهَا مِنَ الصَّخْرَةِ آيَةً لَهُمْ وَحُجَّةً عَلَيْهِمْ ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أَيْ عَقَرَهَا الْأَشْقَىٰ ، وَأُضِيفَ إِلَىٰ الْكُلِّ؛ لِأَنَّهُمْ رَضُوا بِفِعْلِهِ، قَالَ عَطَاءٌ وَمُقَاتِلٌ: فَدَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ فَأَهْلَكَهُمْ. قِيلَ: الدَّمْدَمَةُ الْهَلَاكُ بِاسْتِئْصَالٍ﴿بِذَنْبِهِمْ﴾ بتكذيبهم الرسول وعقرها الناقة، ﴿فَسَوَّاهَا﴾ فَسَوَّىٰ الدَّمْدَمَةَ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا، وَعَمَّهُمْ بِهَا فَلَمْ يَفْلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ: سَوَّىٰ الْأُمَّةَ وَأَنْزَلَ الْعَذَابَ بِصَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، يَعْنِي سَوَّىٰ بينهم.

[١٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ عَاقِبَتَهَا ، قَالَ الْحَسَنُ البصري: مَعْنَاهُ لَا يَخَافُ اللهُ مِنْ أَحَدٍ تَبِعَةً في إهلاكهم ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ: هُوَ رَاجِعٌ إِلَىٰ العاقر فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ تَقْدِيرُهُ: إذا انْبَعَثَ أَشْقَاهَا وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا.

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ الشَّمْسِ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ

سُورَةُ اللَّيْلِ

وهي مَكِّيَّةٌ.

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ أَيْ يَغْشَىٰ النَّهَارَ بِظُلْمَةٍ فَيَذْهَبُ بضوئه.

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ بَانَ وَظَهَرَ مِنْ بَيْنِ الظُّلْمَةِ.

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ﴾ يَعْنِي وَمَنْ خَلَقَ، وَقِيلَ: هِيَ (مَا) الْمَصْدَرِيَّةُ أَيْ خَلْقِ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَىٰ، قَالَ مُقَاتِلٌ وَالْكَلْبِيُّ: يَعْنِي آدَمَ وَحَوَّاءَ.

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ إِنْ أَعْمَالَكُمْ لِمُخْتَلِفَةٌ فَسَاعٍ فِي فِكَاكِ نَفْسِهِ وَسَاعٍ فِي عَطَبِهَا، هَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ وَسَائِرُ الْمُفَسِّرِينَ: السَّعْيُ: الْعَمَلُ، فَسَاعٍ فِي فِكَاكِ نَفْسِهِ، وَسَاعٍ فِي عَطَبِهَا، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**النَّاسُ غَادِيَانِ: فَمُبْتَاعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، وَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُوبِقُهَا**»[١].

---

(١) مسلم (٢٢٣).

[٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ (أَعْطَىٰ) مَالَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، (وَاتَّقَىٰ) رَبَّهُ، وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ حَقَّ اللهِ ﴿وَاتَّقَىٰ﴾ مَحَارِمَ اللهِ الَّتِي نَهَىٰ عَنْهَا.

[٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ قَالَ الضَّحَّاكُ: وَصَدَّقَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: بِالْجَنَّةِ ، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾ [يونس: ٢٦] يَعْنِي الْجَنَّةَ، وَقِيلَ: صَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ أَيْ بِالْخَلَفِ، أَيْ أَيْقَنَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ سَيَخْلُفُهُ ، وَقَالَ قَتَادَةُ: بِمَوْعُودِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي وَعَدَهُ أي يفي به.

[٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ﴾ فَسَنُهَيِّئُهُ فِي الدُّنْيَا، ﴿لِلْيُسْرَىٰ﴾ أَيْ لِلْخَلَّةِ الْيُسْرَىٰ وَهِيَ الْعَمَلُ بِمَا يَرْضَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَ الطَّبَرِيُّ: فَسَنُهَيِّئُهُ لِلْخَلَّةِ الْيُسْرَىٰ، وَهِيَ الْعَمَلُ بِمَا يَرْضَاهُ اللهُ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا، لِيُوجِبَ لَهُ بِهِ فِي الْآخِرَةِ الْجَنَّةَ.

[٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ بالنفقة في الخير، ﴿وَاسْتَغْنَىٰ﴾ عَنْ ثَوَابِ اللهِ فَلَمْ يَرْغَبْ فِيهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ بِالْفَضْلِ، وَاسْتَغْنَىٰ عَنْ رَبِّهِ.

[٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ قَالَ قَتَادَةُ: وَكَذَّبَ بِمَوْعُودِ اللهِ الَّذِي وَعَدَ.

[١٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ سنهينه لِلشَّرِّ بِأَنْ نُجْرِيَهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ حَتَّىٰ يَعْمَلَ بِمَا لَا يُرْضِي اللهَ، فَيَسْتَوْجِبُ بِهِ النَّارَ، قَالَ مُقَاتِلٌ: نُعَسِّرُ عَلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَ خيراً.

[١١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ﴾ الَّذِي بَخِلَ بِهِ، ﴿إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: إِذَا مَاتَ، وَقَالَ قَتَادَةُ وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: إِذا تَرَدَّىٰ: سَقَطَ فِي جَهَنَّمَ، وَمِنْهُ الْمُتَرَدِّيَةُ. وَيُقَالُ: رَدِيَ فِي الْبِئْرِ وَتَرَدَّىٰ: إِذَا سَقَطَ فِي بِئْرٍ، أَوْ تَهَوَّرَ مِنْ جَبَلٍ.

[١٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ يَعْنِي الْبَيَانَ، قَالَ الزَّجَّاجُ: عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَ طَرِيقَ الْهُدَىٰ مِنْ طَرِيقِ الضَّلَالِ، وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ، قَالَ: عَلَىٰ اللهِ بَيَانُ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ. قَالَ الْفَرَّاءُ: يَعْنِي مَنْ سَلَكَ الْهُدَىٰ فَعَلَىٰ اللهِ سَبِيلُهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَىٰ اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النَّحْلِ: ٩] يَقُولُ: مَنْ أَرَادَ اللهَ فَهُوَ عَلَىٰ السَّبِيلِ الْقَاصِدِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ وَالْإِضْلَالَ، فترك الإضلال، كقوله: بِيَدِكَ الْخَيْرُ».

[١٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ فَمَنْ طَلَبَهُمَا مِنْ غَيْرِ مَالِكِهِمَا فقد أخطأ الطريق، قَالَ السَّعْدِيُّ: أَيْ: إِنَّ الْهُدَىٰ الْمُسْتَقِيمَ طَرِيقُهُ، يُوصِلُ إِلَىٰ اللهِ، وَيُدْنِي مِنْ رِضَاهُ، وَأَمَّا الضَّلَالُ، فَطُرُقٌ مَسْدُودَةٌ عَنِ اللهِ، لَا تُوصِلُ صَاحِبَهَا إِلَّا لِلْعَذَابِ الشَّدِيدِ.

[١٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ﴾ حَذَّرْتُكُمْ وَخَوَّفْتُكُم يَا أَهْلَ مَكَّةَ ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ أَيْ تَتَلَظَّىٰ يَعْنِي تَتَوَقَّدُ وَتَتَوَهَّجُ.

[١٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَىٰ﴾ لَا يَجِدُ صَلَاهَا وَهُوَ حَرُّهَا.

[١٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾ الرسول، ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمان، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُلُّ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَاهَا، قَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، وَمَنْ يَأْبَىٰ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ، وَقَالَ مَالِكٌ: صَلَّىٰ بِنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ المغرب، فقرأ وَاللَّيْلِ إِذا يَغْشىٰ فَلَمَّا بَلَغَ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ وَقَعَ عَلَيْهِ الْبُكَاءُ، فَلَمْ يَقْدِرْ يَتَعَدَّاهَا مِنَ الْبُكَاءِ، فَتَرَكَهَا وَقَرَأَ سُورَةً أُخْرَىٰ .

[١٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَىٰ﴾ أَيْ يَكُونُ بَعِيدًا مِنْهَا، يُرِيدُ بِالْأَشْقَىٰ الشَّقِيَّ، وَبِالْأَتْقَىٰ التَّقِيَّ. أَيِ الْمُتَّقِي الْخَائِفُ. ثُمَّ وَصَفَ الْأَتْقَىٰ فَقَالَ:

[١٨] : ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ﴾ يعطي ماله، ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ يَطْلُبُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ اللهِ زَاكِيًا لَا رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً، يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ الصِّدِيقَ، فِي قَوْلِ الْجَمِيعِ، قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: كَانَ أَبُو بَكْرٍ يَبْتَاعُ الضَّعْفَةَ فَيُعْتِقُهُمْ، فَقَالَ أَبُوهُ: أَيْ بُنَيَّ لَوْ كُنْتَ تَبْتَاعُ مَنْ يَمْنَعُ ظَهْرَكَ؟ قَالَ: مَنْعَ ظَهْرِي أُرِيدُ، فنزل: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَىٰ﴾ إلىٰ آخر السورة.

[١٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾ أَيْ لَيْسَ يَتَصَدَّقُ لِيُجَازَىٰ عَلَىٰ نِعْمَةٍ، إِنَّمَا يَبْتَغِي وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ، أَيِ الْمُتَعَالِي وَلَسَوْفَ يَرْضىٰ أَيْ بِالْجَزَاءِ. ﴿إِلَّا﴾ لَكِنْ :

[٢٠] : ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾ يَعْنِي لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مُجَازَاةً لِأَحَدٍ بِيَدٍ لَهُ عِنْدَهُ، وَلَكِنَّهُ يَفْعَلُهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ فِي الدار الآخرة.

[٢١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ بِمَا يُعْطِيهِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْكَرَامَةِ جَزَاءً عَلَىٰ مَا فَعَلَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: عَذَّبَ الْمُشْرِكُونَ بِلَالًا، وَبِلَالٌ يَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ، فَمَرَّ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: « أَحَدٌ- يَعْنِي اللهَ تَعَالَىٰ- يُنْجِيكَ ، ثُمَّ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ بِلَالًا يُعَذَّبُ فِي اللهِ ، فَعَرَفَ أَبُو بَكْرٍ الَّذِي يُرِيدُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَانْصَرَفَ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ، فَأَخَذَ رِطْلًا مِنْ ذَهَبٍ، وَمَضَىٰ بِهِ إِلَىٰ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، فَقَالَ لَهُ: أَتَبِيعُنِي بِلَالًا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَاشْتَرَاهُ فَأَعْتَقَهُ ، فكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا : يَعْنِي بِلَالًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ اللَّيْلِ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ

سُورَةُ الضُّحَى

وهي مَكِّيَّةٌ بِالاتِّفَاقِ.

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ أَقْسَمَ بِالضُّحَىٰ وَأَرَادَ بِهِ النَّهَارَ كُلَّهُ بِدَلِيلِ أَنَّهُ قَابَلَهُ بِاللَّيْلِ إذا سجىٰ، نظيره قوله: ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًىٰ﴾ [الْأَعْرَافِ: ٩٨] أَيْ نَهَارًا ، وَقَالَ قَتَادَةُ وَمُقَاتِلٌ: يَعْنِي وَقْتَ الضُّحَىٰ، وَهِيَ السَّاعَةُ الَّتِي فِيهَا ارْتِفَاعُ الشَّمْسِ، وَاعْتِدَالُ النَّهَارِ فِي الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالصَّيْفِ والشتاء.

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ قَالَ الضَّحَّاكُ: سَجىٰ غطىٰ كل شيء ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: سَجْو اللَّيْلِ: تَغْطِيَتُهُ النَّهَارَ، مِثْلَمَا يُسَجَّىٰ الرَّجُلُ بِالثَّوْبِ ، قَالَ الْحَسَنُ البصري: أَقْبَلَ بِظَلَامِهِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: اسْتَوَىٰ ، وَقَالَ قَتَادَةُ وَابْنُ زَيْدٍ: سَكَنَ وَاسْتَقَرَّ ظَلَامُهُ فَلَا يَزْدَادُ بَعْدَ ذَلِكَ ، يُقَالُ: لَيْلٌ سَاجٍ وَبَحْرٌ سَاجٍ إِذَا كَانَ سَاكِنًا.

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ هَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ. وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبْطَأَ عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: قَلَاهُ اللهُ وَوَدَّعَهُ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ ، أَيْ مَا تَرَكَكَ مُنْذُ اخْتَارَكَ وَلَا أَبْغَضَكَ مُنْذُ أَحَبَّكَ،

وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ جُنْدَبِ بْنِ سُفْيَانَ قَالَ: اشْتَكَىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قَرُبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَالضُّحىٰ. وَاللَّيْلِ إِذا سَجىٰ. مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلىٰ﴾[1].

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ أَيْ مَا عِنْدِي فِي مَرْجِعِكَ إِلَيَّ يَا مُحَمَّدُ، خَيْرٌ لَكَ مِمَّا عَجَّلْتُ لَكَ مِنَ الْكَرَامَةِ فِي الدُّنْيَا.

[٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ الشَّفَاعَةُ فِي أُمَّتِهِ حَتَّىٰ يَرْضَىٰ ، وَقيل: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ مِنَ الثَّوَابِ، وَقِيلَ: مِنَ النَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ وَكَثْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ، ﴿فَتَرْضَىٰ﴾ ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ : « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَا قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٦] ، وقول عيسىٰ: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ ﴾ [المائدة: ١١٨]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: **اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي** وَبَكَىٰ ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ، فَأَتَىٰ جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَ فَأَخْبَرَهُ ،فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ، فَقُلْ لَهُ: إِنَّ اللهَ يَقُولُ

---

(١) البخاري (٤٩٥٠) .

لَكَ: إِنَّا سنرضيك في أمتك وَلَا نَسُوءُكَ »(١) ، وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ: إِنَّكُمْ تَقُولُونَ إِنَّ أَرْجَىٰ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ﴾ [الزمر: ٥٣] قَالُوا: إِنَّا نَقُولُ ذَلِكَ ، قَالَ: وَلَكِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ نَقُولُ: إِنَّ أَرْجَىٰ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضىٰ﴾ ، ثُمَّ أَخْبَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ حَالَتِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا قَبْلَ الْوَحْيِ، وَذَكَّرَهُ نِعَمَهُ فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ :

[٦] :﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا صَغِيرًا فَقِيرًا حِينَ مَاتَ أَبَوَاكَ وَلَمْ يُخَلِّفَا لَكَ مَالًا وَلَا مأوىٰ، فَجَعَلَ لَكَ مَأْوًىٰ تَأْوِي إِلَيْهِ، وَضَمَّكَ إِلَىٰ عَمِّكَ أَبِي طَالِبٍ حَتَّىٰ أَحْسَنَ تَرْبِيَتَكَ وَكَفَاكَ الْمُؤْنَةَ.

[٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ يَعْنِي ضَالًّا عَمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ فَهَدَاكَ لِلتَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ ، قَالَ الْحَسَنُ وَالضَّحَّاكُ وَابْنُ كَيْسَانَ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ عَنْ مَعَالِمِ النُّبُوَّةِ وَأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ غَافِلًا عَنْهَا، فَهَدَاكَ إِلَيْهَا ، وَقِيلَ: ضَالًّا فِي شِعَابِ مَكَّةَ فَهَدَاكَ إِلَىٰ جَدِّكَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

[٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ أَيْ فَقِيرًا ، فَأَغْنَاكَ بِمَالِ خَدِيجَةَ ثُمَّ بِالْغَنَائِمِ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: فَأَرْضَاكَ بِمَا أَعْطَاكَ مِنَ الرِّزْقِ ، وَاخْتَارَهُ الْفَرَّاءُ،

---

(١) مسلم (٢٠٢) .

وَقَالَ: لَمْ يَكُنْ غَنِيًّا عَنْ كَثْرَةِ الْمَالِ ، وَلَكِنَّ اللهَ رضاه بِمَا آتَاهُ ، وَذَلِكَ حَقِيقَةُ الْغِنَىٰ، ثُمَّ أَوْصَاهُ بِالْيَتَامَىٰ وَالْفُقَرَاءِ، فَقَالَ:

[٩] : ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: لَا تَحْتَقِرِ الْيَتِيمَ فَقَدْ كُنْتَ يَتِيمًا، وَقَالَ الْفَرَّاءُ وَالزَّجَّاجُ: لَا تَقْهَرْهُ عَلَىٰ مَالِهِ فَتَذْهَبَ بِحَقِّهِ لِضَعْفِهِ، وَكَذَا كَانَتِ الْعَرَبُ تَفْعَلُ فِي أَمْرِ الْيَتَامَىٰ، تَأْخُذُ أَمْوَالَهُمْ وَتَظْلِمُهُمْ حُقُوقَهُمْ.

[١٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: يُرِيدُ السَّائِلَ عَلَىٰ الْبَابِ، يَقُولُ: لَا تَنْهَرْهُ لَا تَزْجُرْهُ إِذَا سَأَلَكَ، فَقَدْ كُنْتَ فَقِيرًا فَإِمَّا أَنْ تُطْعِمَهُ وَإِمَّا أَنْ تَرُدَّهُ رَدًّا لَيِّنًا، يُقَالُ: نَهَرَهُ وَانْتَهَرَهُ إِذَا اسْتَقْبَلَهُ بِكَلَامٍ يزجره ، قال قَتَادَةُ: رُدَّ السَّائِلَ بِرَحْمَةٍ وَلِينٍ، وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ ، قَالَ: طَالِبُ الْعِلْمِ.

[١١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: يَعْنِي النُّبُوَّةَ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ عَنْهُ: يَعْنِي الْقُرْآنَ ، أَمَرَهُ أن يقرأه، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: اشْكُرْ لِمَا ذُكِرَ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ مِنْ جَبْرِ الْيَتِيمِ وَالْهُدَىٰ بعض الضَّلَالَةِ وَالْإِغْنَاءِ بَعْدَ الْعَيْلَةِ، وَالتَّحَدُّثِ بنعمة الله شكراً.

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ الضُّحَىٰ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ

سُورَةُ الشَّرْحِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِالِاتِّفَاقِ.

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ أَلَمْ نَفْتَحْ وَنُوَسِّعْ وَنُلَيِّنْ لَكَ قَلْبَكَ بِالْإِيمَانِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ؟ وَجَعَلْنَاهُ فَسِيحًا رَحِيبًا وَاسِعًا ، وَكَمَا شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ كَذَلِكَ جَعَلَ شَرْعَهُ فسيحـًا سَمْحًا سَهْلًا، لَا حَرَجَ فِيهِ وَلَا إِصْرَ وَلَا ضِيقَ.

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ قَالَ الْحَسَنُ البصري : حَطَطْنَا عَنْكَ الَّذِي سَلَفَ مِنْكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ: يَعْنِي الْخَطَأَ وَالسَّهْوَ، وَقِيلَ: ذُنُوبُ أُمَّتِكَ فَأَضَافَهَا إِلَيْهِ لِاشْتِغَالِ قَلْبِهِ بِهِمْ.

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ أَثْقَلَ ظَهْرَكَ ، فَأَوْهَنَهُ حَتَّىٰ سُمِعَ له نَقِيضُ أَيِّ صَوْتٍ ، وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَىٰ: يَعْنِي خَفَّفْنَا عَنْكَ أعباء النبوة والقيام بأمرها.

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: لَا أُذْكَرُ إِلَّا ذُكِرْتَ مَعِي «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ»، وَقَالَ قَتَادَةُ: رَفَعَ اللهُ

ذِكْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَيْسَ خَطِيبٌ وَلَا مُتَشَهِّدٌ وَلَا صَاحِبُ صَلَاةٍ إِلَّا يُنَادِي بِهَا، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وقيل: رَفَعَ اللهُ ذِكْرَهُ فِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخَرِينَ، وَنَوَّهَ بِهِ حِينَ أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَىٰ جَمِيعِ النَّبِيِّينَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وَأَنْ يَأْمُرُوا أُممهم بِالْإِيمَانِ بِهِ، ثُمَّ شَهَرَ ذِكْرَهُ فِي أُمَّتِهِ، فَلَا يُذْكَرُ اللهُ إِلَّا ذُكِرَ معه.

[٥-٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ أَيْ مَعَ الشِّدَّةِ الَّتِي أَنْتَ فيها من جهاد المشركين يسرا وَرَخَاءٌ بِأَنْ يُظْهِرَكَ عَلَيْهِمْ حَتَّىٰ يَنْقَادُوا لِلْحَقِّ الَّذِي جِئْتَهُمْ بِهِ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا كَرَّرَهُ لِتَأْكِيدِ الْوَعْدِ وَتَعْظِيمِ الرَّجَاءِ. قال الحسن البصري: كَانُوا يَقُولُونَ: لَا يَغْلِبُ عُسْرٌ وَاحِدٌ يُسْرَيْنِ اثنين.

[٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ أَيْ فَاتْعَبْ وَالنَّصَبُ: التَّعَبُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ: فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ ، فَانْصَبْ إِلَىٰ رَبِّكَ فِي الدُّعَاءِ، وَارْغَبْ إِلَيْهِ فِي الْمَسْأَلَةِ يُعْطِكَ ، وَقَالَ مجاهد: إِذَا صَلَّيْتَ فَاجْتَهِدْ فِي الدُّعَاءِ وَالْمَسْأَلَةِ. وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: إِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْفَرَائِضِ فَانْصَبْ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ. وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: إِذَا فَرَغْتَ مِنَ التَّشَهُّدِ فَادْعُ لِدُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ ، وَقَالَ الْحَسَنُ وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: إِذَا فَرَغْتَ مِنْ جِهَادِ عَدُوِّكَ فَانْصَبْ فِي عِبَادَةِ رَبِّكَ.

[٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ قَالَ عَطَاءٌ: تَضَرَّعْ إِلَيْهِ رَاهِبًا مِنَ النَّارِ رَاغِبًا فِي الْجَنَّةِ، وَقِيلَ: فَارْغَبْ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكَ ، قَالَ الزَّجَّاجُ: أَي اجْعَلْ رَغْبَتَكَ إِلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ.

سُورَةُ التِّينِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِالِاتِّفَاقِ.

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ قَسَمٌ مِنَ اللهِ بِالتِّينِ الَّذِي يَأْكُلُهُ النَّاسُ، وَالزَّيْتُونِ الَّذِي يَعْصِرُونَ مِنْهُ الزَّيْتَ، قَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ التِّينُ وَالزَّيْتُونُ الَّذِي يَأْكُلُ النَّاسُ، وَقِيلَ:خَصَّ التِّينَ بِالْقَسَمِ لِأَنَّهَا فَاكِهَةٌ مُخْتَصَّةٌ لَا عَجَمَ فِيهَا، شَبِيهَةٌ بِفَوَاكِهِ الْجَنَّةِ. وَالزَّيْتُونُ شَجَرَةٌ مُبَارَكَةٌ جَاءَ بِهَا الْحَدِيثُ ، وَهُوَ تَمْرٌ وَدُهْنٌ يَصْلُحُ لِلِاصْطِبَاغِ وَالِاصْطِبَاحِ.

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ يَعْنِي الْجَبَلَ الَّذِي كَلَّمَ اللهُ عَلَيْهِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ أَيِ الْآمِنِ، يَعْنِي مَكَّةَ يَأْمَنُ فِيهِ النَّاسُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، هذه أَقْسَامٌ وَالْمُقْسَمُ عَلَيْهِ .

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ أَعْدَلِ قَامَةٍ وَأَحْسَنِ صُورَةٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ خَلَقَ كُلَّ حَيَوَانٍ مُنْكَبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ إِلَّا الْإِنْسَانَ خَلَقَهُ مَدِيدَ الْقَامَةِ يَتَنَاوَلُ مَأْكُولَهُ بِيَدِهِ مُزَيَّنًا بِالْعَقْلِ وَالتَّمْيِيزِ.

[٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ يُرِيدُ إِلَىٰ الْهَرَمِ وَأَرْذَلِ الْعُمُرِ، فَيَنْقُصُ عَقْلُهُ وَيَضْعَفُ بَدَنُهُ، وَالسَّافِلُونَ هُمُ الضُّعَفَاءُ وَالزَّمْنَىٰ وَالْأَطْفَالُ، فالشيخ الكبير مِنْ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا ، وَقَالَ الْحَسَنُ البصري: وَمُجَاهِدٌ: يَعْنِي ثُمَّ رَدَدْنَاهُ إِلَىٰ النَّارِ، يَعْنِي إِلَىٰ أَسْفَلِ السَّافِلِينَ، لِأَنَّ جَهَنَّمَ بَعْضُهَا أَسْفَلَ مِنْ بَعْضٍ، ثُمَّ اسْتَثْنَىٰ فَقَالَ:

[٦] : ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يُرَدُّونَ إِلَىٰ النَّارِ، وَمَنْ قَالَ بِالْقَوْلِ الْأَوَّلِ قَالَ: رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ، فَزَالَتْ عُقُولُهُمْ وَانْقَطَعَتْ أَعْمَالُهُمْ، فَلَا يُكْتَبُ لَهُمْ حَسَنَةٌ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فَإِنَّهُ يُكْتَبُ لَهُمْ بَعْدَ الْهَرَمِ، وَالْخَرَفِ، مِثْلَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي حال الشباب والصحة ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ غَيْرُ مَقْطُوعٍ ؛ لِأَنَّهُ يُكْتَبُ لَهُ كَصَالِحِ مَا كَانَ يَعْمَلُ ، قَالَ الضَّحَّاكُ: أَجْرٌ بِغَيْرِ عَمَلٍ ثُمَّ قَالَ: إِلْزَامًا لِلْحُجَّةِ.

[٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ أيها الإنسان ﴿بَعْدُ﴾ أَيْ بَعْدَ هَذِهِ الْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ، ﴿بِالدِّينِ﴾ بِالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ وَالْمَعْنَىٰ، أَلَا تَتَفَكَّرُ فِي صُورَتِكَ وَشَبَابِكَ وَهَرَمِكَ فَتَعْتَبِرُ وَتَقُولُ إِنَّ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَنِي وَيُحَاسِبَنِي، فَمَا الَّذِي يُكَذِّبُكَ بِالْمُجَازَاةِ بَعْدَ هَذِهِ الْحُجَجِ.

[٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ بِأَقْضَىٰ الْقَاضِينَ، قَالَ الطَّبَرِيُّ: أَلَيْسَ اللهُ يَا مُحَمَّدُ بِأَحْكَمِ مَنْ حَكَمَ فِي أَحْكَامِهِ، وَفَصَلَ قَضَاءَهُ بَيْنَ عِبَادِهِ؟

سُورَةُ الْعَلَقِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِالِاتِّفَاقِ.

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ: عَلَىٰ أَنَّ هَذِهِ أَوَّلُ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ، وَأَوَّلُ مَا نَزَلَ خَمْسُ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ وَالْمَعْنَىٰ: اذْكُرِ اسْمَهُ، أُمِرَ أَنْ يَبْتَدِئَ الْقِرَاءَةَ بِاسْمِ اللهِ تَأْدِيبًا، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَىٰ رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءَ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ خَدِيجَةَ، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّىٰ فَجِأَهُ الْوَحْيُ، وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءَ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ، فَقَالَ: اقْرَأْ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ الآيات(١)، ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ ، ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ قَالَ الْكَلْبِيُّ: يَعْنِي الْخَلَائِقَ ثُمَّ فسره فقال:

(١) البخاري (٣) ومسلم (١٦٠).

[٢] : ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾ يَعْنِي ابْنَ آدَمَ ، ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ جَمْعُ عَلَقَةٍ، وَالْعَلَقَةُ الدَّمُ الْجَامِدُ، وَإِذَا جَرَىٰ فَهُوَ الْمَسْفُوحُ.

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿اقْرَأْ﴾ كَرَّرَهُ تَأْكِيدًا، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ فَقَالَ: ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ أَيْ: كَثِيرُ الصِّفَاتِ وَاسِعُهَا، كَثِيرُ الْكَرَمِ وَالْإِحْسَانِ، وَاسِعُ الْجُودِ، الَّذِي مِنْ كَرَمِهِ أَنْ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ.

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ يَعْنِي الْخَطَّ وَالْكِتَابَةَ ، قَالَ قَتَادَةُ: الْقَلَمُ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ عَظِيمَةٌ، لَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَقُمْ وَلَمْ يَصْلُحْ عَيْشٌ، ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ مِنْ أَنْوَاعِ الْهُدَىٰ وَالْبَيَانِ ، وَقِيلَ: عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ، وَقِيلَ: الْإِنْسَانُ هَاهُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيَانُهُ:

[٥] : ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ .

[٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿كَلَّا﴾ حقـًا ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ﴾ لَيَتَجَاوَزُ حَدَّهُ وَيَسْتَكْبِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ، قَالَ النَّسَفِيُّ: ﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ لِمَنْ كَفَرَ بِنِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِ بِطُغْيَانِهِ ، وَإِنْ لَمْ يُذْكَرْ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ ، قَالَ: وَمَعْنَىٰ الرُّؤْيَةِ الْعِلْمُ.

[٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿أَنْ﴾ لأن، ﴿رَآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ أَنْ رَأَىٰ نَفْسَهُ غَنِيًّا، قَالَ الْكَلْبِيُّ: يَرْتَفِعُ عَنْ مَنْزِلَةٍ إِلَىٰ مَنْزِلَةٍ فِي اللِّبَاسِ وَالطَّعَامِ وَغَيْرِهِمَا.

[٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ أَيِ الْمَرْجِعُ فِي الْآخِرَةِ. وَسَيُحَاسِبُكَ عَلَىٰ مَالِكَ مِنْ أَيْنَ جَمَعْتَهُ وَفِيمَ صَرَفْتَهُ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ: صَاحِبُ الْعِلْمِ وَصَاحِبُ الدُّنْيَا، وَلَا يَسْتَوِيَانِ.

[٩-١٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ * عَبْداً إِذَا صلَّىٰ﴾ نَزَلَتْ فِي (أَبِي جَهْلٍ) لَعَنَهُ اللهُ، تَوَعَّدَ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ الصَّلَاةِ عِنْدَ الْبَيْتِ، فوعظه تَعَالَىٰ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ أَوَّلًا، فَقَالَ:

[١١] : ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَانَ علىٰ الهدىٰ﴾ أي فما أظنك إِن كَانَ هَذَا الَّذِي تَنْهَاهُ عَلَىٰ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمَةِ فِي فِعْلِهِ .

[١٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾ بِقَوْلِهِ ، وَأَنْتَ تَزْجُرُهُ وَتَتَوَعَّدُهُ عَلَىٰ صِلَاتِهِ؟ وَلِهَذَا قَالَ:

[١٣] : ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ﴾ يعني أبا جهل، ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ كَذَّبَ بِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَوَلَّىٰ عَنِ الْإِيمَانِ.

[١٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللهَ يَرَىٰ﴾؟ أَيْ أَمَا عَلِمَ هَذَا النَّاهِي لِهَذَا الْمُهْتَدِي أَنَّ اللهَ يَرَاهُ وَيَسْمَعُ كَلَامَهُ، وَسَيُجَازِيهِ عَلَىٰ فِعْلِهِ أَتَمَّ الْجَزَاءِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ مُتَوَعِّدًا وَمُتَهَدِّدًا :

[١٥] : ﴿كَلَّا﴾ لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ، ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ﴾ عن إيذاء مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتكذيبه ، ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ أَيْ لَنَأْخُذَنَّ بِالنَّاصِيَةِ فَلَنُذِلَّنَّهُ ، وَقِيلَ: لَنَأْخُذَنَّ بِنَاصِيَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتُطْوَىٰ مَعَ قَدَمَيْهِ، وَيُطْرَحُ فِي النَّارِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدامِ﴾ [الرحمن: ٤١] ، فَالْآيَةُ ، يُقَالُ: سَفَعْتُ بِالشَّيْءِ إِذَا أَخَذْتُهُ وَجَذَبْتُهُ جَذْبًا شَدِيدًا، والناصية: شَعْرُ مُقَدَّمِ الرَّأْسِ ، ثُمَّ قَالَ عَلَىٰ الْبَدَلِ:

[١٦] : ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ يَعْنِي نَاصِيَةَ (أَبِي جهل) كاذبة في مقالها، خاطئة في أفعالها، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا نَهَىٰ أَبُو جَهْلٍ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الصَّلَاةِ انْتَهَرَهُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال أبو جهل: أتنتهرني؟ فَوَاللهِ لَأَمْلَأَنَّ عَلَيْكَ هَذَا الْوَادِي إِنْ شِئْتَ خَيْلًا جُرْدًا وَرِجَالًا مرداً.

[١٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أَيْ قَوْمَهُ وَعَشِيرَتَهُ، أَيْ فَلْيَسْتَنْصِرْ بهم.

[١٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ جَمْعُ زِبْنِيٍّ مَأْخُوذٌ مِنَ الزِّبْنِ، وَهُوَ الدَّفْعُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ زَبَانِيَةَ جَهَنَّمَ سَمُّوا بِهَا ؛ لِأَنَّهُمْ يَدْفَعُونَ أَهْلَ النَّارِ إِلَيْهَا، قَالَ الزَّجَّاجُ: هُمُ الْمَلَائِكَةُ الْغِلَاظُ الشِّدَادُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذَتْهُ زَبَانِيَةُ اللهِ. ثم قال:

[١٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿كَلَّا﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا عَلَيْهِ أبو جهل، ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ أَيْ فِيمَا دَعَاكَ إِلَيْهِ مِنْ تَرْكِ الصَّلَاةِ، أخرج البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ، قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَئِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ لَأَطَأَنَّ عَلَىٰ عُنُقِهِ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: « **لَئِنْ فَعَلَ لَأَخَذَتْهُ الْمَلَائِكَةُ** »(١) ، ﴿وَاسْجُدْ﴾ أَيْ صَلِّ لِلَّهِ ﴿وَاقْتَرِبْ﴾ أَيْ تَقَرَّبْ إِلَىٰ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ. وَقِيلَ: الْمَعْنَىٰ: إِذَا سَجَدْتَ فَاقْتَرِبْ مِنَ اللهِ بِالدُّعَاءِ. كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ

---

(١) البخاري (٤٩٥٨) .

رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**»[1] .

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ الْعَلَقِ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ

---

(١) مسلم (٤٨٢) .

سُورَةُ الْقَدْرِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ.

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ يَعْنِي الْقُرْآنَ، كِنَايَةً عَنْ غير مذكور، أنه أَنْزَلَهُ جُمْلَةً وَاحِدَةً فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَوَضَعَهُ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ، ثُمَّ كَانَ يَنْزِلُ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نُجُومًا فِي عِشْرِينَ سَنَةً، ثُمَّ عَجَّبَ نَبِيَّهُ فَقَالَ:

[٢]: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ سُمِّيَتْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ؛ لِأَنَّهَا لَيْلَةُ تَقْدِيرِ الْأُمُورِ وَالْأَحْكَامِ، يُقَدِّرُ اللهُ فِيهَا أَمْرَ السَّنَةِ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ إِلَىٰ السَّنَةِ الْمُقْبِلَةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤]، وَقِيلَ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ أَنْزَلَ فِيهَا كِتَابًا ذَا قَدْرٍ، عَلَىٰ رَسُولٍ ذِي قَدْرٍ، عَلَىٰ أُمَّةٍ ذَاتِ قَدْرٍ، وَقِيلَ: لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُنْزِلُ فِيهَا الْخَيْرَ وَالْبَرَكَةَ وَالْمَغْفِرَةَ، وَقَالَ سَهْلٌ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدَّرَ فِيهَا الرَّحْمَةَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، وَاخْتَلَفُوا فِي وَقْتِهَا، وَعَامَّةُ الصَّحَابَةِ وَالْعُلَمَاءِ عَلَىٰ أَنَّهَا بَاقِيَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ القيامة، وَالْجُمْهُورُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: عَلَىٰ أَنَّهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَاخْتَلَفُوا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَالصَّحِيحُ وَالَّذِي عَلَيْهِ الْأَكْثَرُونَ:

أَنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ شَهْرِ رمضان، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فِي رَمَضَانَ فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ فَإِنَّهَا وِتْرٌ: إِحْدَىٰ وَعِشْرِينَ، أَوْ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ** »(١) ، قَالَ البغوي : أَبْهَمَ اللهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ عَلَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةِ لِيَجْتَهِدُوا فِي الْعِبَادَةِ لَيَالِيَ رَمَضَانَ طَمَعًا فِي إِدْرَاكِهَا، كَمَا أَخْفَىٰ سَاعَةَ الْإِجَابَةِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَأَخْفَىٰ الصَّلَاةَ الْوُسْطَىٰ فِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَاسْمَهُ الْأَعْظَمَ فِي الْأَسْمَاءِ، وَرِضَاهُ فِي الطَّاعَاتِ لِيَرْغَبُوا فِي جَمِيعِهَا، وَسُخْطَهُ فِي الْمَعَاصِي لِيَنْتَهُوا عَنْ جَمِيعِهَا، وَأَخْفَىٰ قِيَامَ السَّاعَةِ لِيَجْتَهِدُوا فِي الطَّاعَاتِ حَذَرًا مِنْ قِيَامِهَا.

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ مَعْنَاهُ عَمَلٌ صَالِحٌ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ خَيْرٌ مَنْ عَمِلِ أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ. قَالَ مُجَاهِدٌ: عَمَلُهَا وَصِيَامُهَا وَقِيَامُهَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، وَقَالَ عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ الْمُلَائِيُّ: عَمَلٌ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَلْفِ شَهْرٍ.

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ أَيْ تَهْبِطُ الْمَلَائِكَةُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِنَ السَّمَاوَاتِ إِلَىٰ الْأَرْضِ، وَالرُّوحُ هُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَهُوَ مِنْ بَابِ

---

(١) أحمد (٢٢٧١٣) والترمذي (٧٩٢) .

عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَىٰ الْعَامِّ، وَإِنَّمَا يَكْثُرُ تَنَزُّلُ الْمَلَائِكَةِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ لِكَثْرَةِ بَرَكَتِهَا، وَكَثْرَةِ التِّلَاوَةِ لِلْقُرْآنِ وَالذِّكْرِ فِيهَا، وَكُلُّ ذَلِكَ بِأَمْرِ رَبِّهَا. ﴿فِيهَا﴾ أَيْ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ قَالَ قَتَادَةُ: يُقْضَىٰ فِيهَا مَا يَكُونُ فِي السَّنَةِ إِلَىٰ مِثْلِهَا، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ قَالَ: سَلَامٌ هِيَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ، وَفِي الْحَدِيثِ عن عبد الله ابن بُرَيْدَةَ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ: «إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، فَمَا أَدْعُو؟ قَالَ: قُولِي: **اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**».

[٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿سَلَامٌ﴾ قَالَ عَطَاءٌ: يُرِيدُ سَلَامٌ عَلَىٰ أولياء الله وأهل طاعته، قال الشَّعْبِيُّ: هُوَ تَسْلِيمُ الْمَلَائِكَةِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ عَلَىٰ أَهْلِ الْمَسَاجِدِ مِنْ حين تَغِيبُ الشَّمْسُ إِلَىٰ أَنْ يَطْلُعَ الفجر، وَقِيلَ: تَمَّ الْكَلَامُ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾ أَيْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ سَلَامٌ وَخَيْرٌ كُلُّهَا، لَيْسَ فِيهَا شَرٌّ. قَالَ الضَّحَّاكُ: لَا يُقَدِّرُ اللهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَلَا يَقْضِي إِلَّا السَّلَامَةَ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يَعْنِي أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ سَالِمَةٌ لَا يَسْتَطِيعُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَعْمَلَ فِيهَا سُوءًا، وَلَا أَنْ يُحْدِثَ فِيهَا أَذًى، ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ أي إلىٰ مطلع الفجر.

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ الْقَدْرِ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ

سُورَةُ الْبَيِّنَةِ

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وَهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ، ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ وَهُمْ عَبَدَةُ الْأَوْثَانِ وَالنِّيرَانِ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، ﴿مُنْفَكِّينَ﴾ أَيْ مُنْتَهِينَ عَنْ كُفْرِهِمْ، مَائِلِينَ عَنْهُ. يُقَالُ: فَكَكْتُ الشَّيْءَ فَانْفَكَّ أَيِ انْفَصَلَ، ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ لَفْظُهُ مُسْتَقْبَلٌ ، وَمَعْنَاهُ الْمَاضِي أي حتىٰ أتتهم الْحُجَّةُ الْوَاضِحَةُ، يَعْنِي مُحَمَّدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُمْ بِالْقُرْآنِ فَبَيَّنَ لَهُمْ ضَلَالَتَهُمْ وَجَهَالَتَهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ ، فَهَذِهِ الْآيَةُ فِيمَنْ آمَنَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، أَخْبَرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَنْتَهُوا عَنِ الْكُفْرِ حَتَّىٰ أَتَاهُمُ الرَّسُولُ فَدَعَاهُمْ إِلَىٰ الْإِيمَانِ فَآمَنُوا فَأَنْقَذَهُمُ اللهُ مِنَ الْجَهْلِ وَالضَّلَالَةِ ، ثُمَّ فَسَّرَ الْبَيِّنَةَ فَقَالَ:

[٢] : ﴿رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُو﴾ يقرأ، يُقَالُ: تَلَا يَتْلُو تِلَاوَةً، ﴿صُحُفًا﴾ كتابا، يُرِيدُ مَا يَتَضَمَّنُهُ الصُّحُفُ مِنَ الْمَكْتُوبِ فِيهَا، وَهُوَ الْقُرْآنُ لِأَنَّهُ كَانَ يَتْلُو عَنْ ظَهْرِ قَلْبِهِ لا عن كتاب، قوله: ﴿مُطَهَّرَةً﴾ مِنَ الْبَاطِلِ وَالْكَذِبِ وَالزُّورِ.

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فِيهَا﴾ أَيْ فِي الصُّحُفِ، ﴿كُتُبٌ﴾ يَعْنِي الْآيَاتِ وَالْأَحْكَامِ الْمَكْتُوبَةِ فِيهَا، ﴿قَيِّمَةٌ﴾ عَادِلَةٌ مُسْتَقِيمَةٌ غَيْرُ ذَاتِ عِوَجٍ. ثُمَّ ذَكَرَ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقَالَ:

[٤] : ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أَيْ مِنْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ ، تفرقوا فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ أَيِ الْبَيَانُ فِي كُتُبِهِمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: لَمْ يَزَلْ أَهْلُ الْكِتَابِ مُجْتَمِعِينَ فِي تَصْدِيقِ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ بَعَثَهُ اللهُ، فَلَمَّا بُعِث تَفَرَّقُوا فِي أَمْرِهِ وَاخْتَلَفُوا، فَآمَنَ بِهِ بعضهم، وكفر آخرون، ثُمَّ ذَكَرَ مَا أُمِرُوا بِهِ فِي كُتُبِهِمْ فَقَالَ:

[٥] : ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ يَعْنِي هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ، ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ﴾ يَعْنِي إِلَّا أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا أُمِرُوا في التوراة والإنجيل إلا بإخلاص العبادة لله موحدين ﴿حُنَفَاءَ﴾ مَائِلِينَ عَنِ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا إِلَىٰ دين الإسلام، وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: حُنَفَاءُ: عَلَىٰ دِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ الْمَكْتُوبَةَ فِي أَوْقَاتِهَا ﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ عند محلها، ﴿وَذَلِكَ﴾ الَّذِي أُمِرُوا بِهِ، ﴿دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ أَيْ ذَلِكَ الدين الذي أمروا به دين القيمة، أَيِ الدِّينُ الْمُسْتَقِيمُ ، وَقِيلَ: الْقَيِّمَةُ هِيَ الْكُتُبُ الَّتِي جَرَىٰ ذِكْرُهَا، أَيْ وَذَلِكَ دِينُ الْكُتُبِ الْقَيِّمَةِ فِيمَا تَدْعُو إِلَيْهِ وتأمر به.

[٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ قَدْ أَحَاطَ بِهِمْ عَذَابُهَا، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمْ عِقَابُهَا، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لَا يُفَتَّرُ

عَنْهُمُ الْعَذَابُ، وَهُمْ فِيهَا مُبْلِسُونَ، ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا الْحَقَّ وَتَرَكُوهُ، وَخَسِرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وَقَوْلُهُ ﴿شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ أَيْ شَرُّ الْخَلِيقَةِ، وَالْبَرِيَّةُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ: الْخَلِيقَةُ، قَالَ الرَّازِيُّ: الْبَرَىٰ: التُّرَابُ، والبرِيّة: الخَلْق، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هم الْجِنُّ وَالْإِنْسُ.

[٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ لِأَنَّهُمْ عَبَدُوا اللهَ وَعَرَفُوهُ، وَفَازُوا بِنَعِيمِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَفِي الْحَدِيثِ عِنْدَ أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الْبَرِيَّةِ**؟» قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**رَجُلٌ أَخَذَ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ كُلَّمَا كَانَتْ هَيْعَةٌ اسْتَوَىٰ عَلَيْهِ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الْبَرِيَّةِ**؟» قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**رَجُلٌ فِي ثُلَّةٍ مِنْ غَنَمِهِ يُقِيمُ الصَّلَاةَ وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ**» ألا أخبركم بخير الْبَرِيَّةِ"؟ قَالُوا: بَلَىٰ، قَالَ: «**الَّذِي يَسْأَلُ بِاللهِ ولا يعطي به**»[١].

[٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿جَزاؤُهُمْ﴾ أَيْ ثَوَابُهُمْ، ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أَيْ خَالِقِهِمْ وَمَالِكِهِمْ، ﴿جَنَّاتُ﴾ أَيْ بَسَاتِينُ، ﴿عَدْنٍ﴾ أَيْ إِقَامَةٍ، وَالْمُفَسِّرُونَ يَقُولُونَ: جَنَّاتُ عَدْنٍ بُطْنَانِ الْجَنَّةِ، أَيْ وَسَطُهَا، تَقُولُ: عَدَنَ بِالْمَكَانِ يَعْدِنُ عَدْنًا وَعُدُونًا: أَقَامَ، وَمَعْدِنُ الشَّيْءِ: مَرْكَزُهُ وَمُسْتَقَرُّهُ، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً﴾ لَا يَظْعَنُونَ وَلَا يَمُوتُونَ، ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ أَيْ رَضِيَ أَعْمَالَهُمْ، كَذَا قَالَ

---

(١) أحمد (١١٢١٠).

ابْنُ عَبَّاسٍ ، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ أَيْ رَضُوا هُمْ بِثَوَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ﴿ذلِكَ﴾ أَيِ الْجَنَّةُ، ﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ أَيْ هَذَا الْجَزَاءُ حَاصِلٌ لِمَنْ خَشِيَ اللهَ وَاتَّقَاهُ حَقَّ تَقْوَاهُ، وعبده كأنه يراه ، وَقِيلَ: الرِّضَا يَنْقَسِمُ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ رِضًا بِهِ وَرِضًا عَنْهُ، فَالرِّضَا بِهِ: رَبًّا وَمُدَبِّرًا، وَالرِّضَا عَنْهُ: فِيمَا يَقْضِي ويقدر، وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الْمُؤْمِنُ أَكْرَمُ عَلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بَعْضِ الملائكة الذين عنده.

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ الْبَيِّنَةِ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ.

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ حُرِّكَتِ الْأَرْضُ حَرَكَةً شَدِيدَةً لِقِيَامِ الساعة، ﴿زِلْزَالَهَا﴾ تحريكها، وَكَانَ ابن عباس يَقُولُ: فِي النَّفْخَةِ الْأُولَىٰ يُزَلْزِلُهُ.

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ مَوْتَاهَا وَكُنُوزَهَا فَتُلْقِيهَا عَلَىٰ ظَهْرِهَا. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: إِذَا كَانَ الْمَيِّتُ فِي بَطْنِ الْأَرْضِ، فَهُوَ ثِقْلٌ لَهَا. وَإِذَا كَانَ فَوْقَهَا، فَهُوَ ثِقْلٌ عَلَيْهَا ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ: أَثْقالها: مَوْتَاهَا، تُخْرِجُهُمْ فِي النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْجِنِّ وَالْإِنْسِ: الثَّقَلَانِ.

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : أَرَادَ كُلَّ إِنْسَانٍ يُشَاهِدُ ذَلِكَ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ فِي النَّفْخَةِ الْأُولَىٰ: مِنْ مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ. وَهَذَا قَوْلُ مَنْ جَعَلَهَا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ جَمِيعًا مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهَا، حَتَّىٰ يَتَحَقَّقُوا عُمُومَهَا، فَلِذَلِكَ سَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنْهَا. وَعَلَىٰ قَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالْإِنْسَانِ الْكُفَّارُ خَاصَّةً، جَعَلَهَا زَلْزَلَةَ

الْقِيَامَةِ، لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ مُعْتَرِفٌ بِهَا، فَهُوَ لَا يَسْأَلُ عَنْهَا، وَالْكَافِرُ جَاحِدٌ لَهَا، فَلِذَلِكَ يَسْأَلُ عَنْهَا. قِيلَ: فِي الْآيَةِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ تقديره.

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ فَيَقُولُ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا، أَيْ تُخْبِرُ الْأَرْضُ بِمَا عُمِلَ عَلَيْهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ يَوْمَئِذٍ، وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخبارَها قال: « **أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا**؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَىٰ كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا، تَقُولُ: عَمِلَ يَوْمَ كَذَا، كَذَا وَكَذَا**، قَالَ: **فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا** »[١].

[٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أَيْ أَمَرَهَا بِالْكَلَامِ وَأَذِنَ لَهَا بِأَنْ تُخْبِرَ بِمَا عُمِلَ عَلَيْهَا، وَقِيلَ: أَوْحىٰ لَها أَيْ أَمَرَهَا، وَقِيلَ: الْمَعْنَىٰ يَوْمَ تَكُونُ الزَّلْزَلَةُ، وَإِخْرَاجُ الْأَرْضِ أَثْقَالَهَا، تُحَدِّثُ الْأَرْضُ أَخْبَارَهَا، مَا كَانَ عَلَيْهَا مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي، وَمَا عُمِلَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

[٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ يَرْجِعُ النَّاسُ عَنْ مَوْقِفِ الْحِسَابِ بعد العرض، ﴿أَشْتَاتًا﴾ أَيْ أَنْوَاعًا وَأَصْنَافًا مَا بَيْنَ شَقِيٍّ وَسَعِيدٍ، مَأْمُورٍ بِهِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَمَأْمُورٍ بِهِ إِلَىٰ النَّارِ، قَالَ الطَّبَرِيُّ: يَتَصَدَّعُونَ أَشْتَاتًا فَلَا يَجْتَمِعُونَ آخِرَ

---

(١) أحمد (٨٨٥١) والترمذي (٢٤٢٩).

مَا عَلَيْهِمْ ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِيُرَوْا جَزَاءَ أَعْمَالِهِمْ، وَالْمَعْنَىٰ أَنَّهُمْ يَرْجِعُونَ عَنِ الْمَوْقِفِ فِرَقًا لِيَنْزِلُوا مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

[٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ وَزْنَ نَمْلَةٍ صَغِيرَةٍ أَصْغَرَ مَا يَكُونُ مِنَ النَّمْلِ، الذَّرُّ: مَا يُرَىٰ فِي شُعَاعِ الشَّمْسِ مِنَ الْغُبَارِ.

[٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَيْسَ مُؤْمِنٌ وَلَا كَافِرٌ عَمِلَ خَيْرًا أَوْ شرًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا أَرَاهُ اللهُ له يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَرَىٰ حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ فَيَغْفِرُ اللهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُثِيبُهُ بِحَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَرُدُّ حَسَنَاتِهِ وَيُعَذَّبُ بِسَيِّئَاتِهِ.

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ الزَّلْزَلَةِ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ

سُورَةُ الْعَادِيَاتِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِالِاتِّفَاقِ.

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ هِيَ الْخَيْلُ الْعَادِيَةُ فِي سَبِيلِ الله تَضْبَحُ، وَالضَّبْحُ صَوْتُ أَجْوَافِهَا إِذَا عدت، قوله: ﴿ضَبْحًا﴾ مَجَازُهُ: وَالْعَادِيَّاتُ تَضْبَحُ ضَبْحًا. وَقَالَ أمير المؤمنين عَلِيٌّ رضي الله عنه : هِيَ الْإِبِلُ فِي الْحَجِّ تَعْدُو مِنْ عَرَفَةَ إِلَىٰ الْمُزْدَلِفَةِ وَمِنَ المزدلفة إلىٰ منىً.

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ هِيَ الْخَيْلُ تقدح النَّارَ بِحَوَافِرِهَا إِذَا سَارَتْ فِي الْحِجَارَةِ، يَعْنِي وَالْقَادِحَاتِ قَدْحًا يَقْدَحْنَ بِحَوَافِرِهِنَّ، وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا: « **الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ: الْأَجْرُ وَالْغَنِيمَةُ**»[١] ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هِيَ مَكْرُ الرِّجَالِ، يَعْنِي رِجَالَ الْحَرْبِ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ إِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَمْكُرَ بِصَاحِبِهِ: أَمَا وَاللهِ لَأَقْدَحَنَّ لَكَ ثُمَّ لَأُوَرِّيَنَّ لَكَ.

---

(١) البخاري (٢٨٥٢) ومسلم (١٨٧١) .

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ هِيَ الْخَيْلُ تُغِيرُ بِفُرْسَانِهَا عَلَىٰ الْعَدُوِّ عِنْدَ الصَّبَاحِ، هَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ ، وَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا الْغَارَةَ سَرَوْا لَيْلًا، وَيَأْتُونَ الْعَدُوَّ صُبْحًا، لِأَنَّ ذَلِكَ وَقْتُ غَفْلَةِ النَّاسِ، وَمِنْهُ قوله تعالىٰ: ﴿فَساءَ صَباحُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ [الصافات: ١٧٧] ، وَقِيلَ: لِعِزِّهِمْ أَغَارُوا نَهَارًا، وصُبْحـًا عَلَىٰ هَذَا، أَيْ عَلَانِيَةً، تَشْبِيهًا بِظُهُورِ الصُّبْحِ.

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ﴾ أي هيجن بمكان سيرها كِنَايَةٌ عَنْ غَيْرِ مَذْكُورٍ لِأَنَّ المعنىٰ مفهوم، ﴿نَقْعًا﴾ غُبَارًا وَالنَّقْعُ الْغُبَارُ ، وَفِي الصِّحَاحِ: النَّقْعُ: الْغُبَارُ، وَالْجَمْعُ: نِقَاعٌ.

[٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي حَلَّتْ فِيهِ أَثَارَتْ بِهِ الْغُبَارَ إِمَّا فِي حَجٍّ أَوْ غَزْوٍ، أَيْ دَخَلْنَ بِهِ وَسَطَ الْعَدُوِّ، قَالَ الْقُرَظِيُّ: يَعْنِي جَمْعَ مِنًىٰ، أَقْسَمَ اللهُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ .

[٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ هَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ، أَيْ طُبِعَ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ كُفْرَانِ النِّعْمَةِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَكَنُودٌ لِكَفُورٌ جَحُودٌ لِنِعَمِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَقَالَ الْحَسَنُ البصري: هُوَ الَّذِي يَعُدُّ الْمَصَائِبَ وَيَنْسَىٰ النِّعَمَ ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: هُوَ قَلِيلُ الْخَيْرِ، وَالْأَرْضُ الْكَنُودُ الَّتِي لَا تنبت شيئًا ، ثُمَّ قِيلَ: هُوَ الَّذِي يَكْفُرُ بِالْيَسِيرِ، وَلَا يَشْكُرُ الْكَثِيرَ ، وَقِيلَ: الْجَاحِدُ لِلْحَقِّ ، وَقِيلَ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ كِنْدَةُ كِنْدَةَ، لِأَنَّهَا جَحَدَتْ أَبَاهَا ، وَقِيلَ: الْكَنُودُ: مِنْ كَنَدَ إِذَا قَطَعَ، كَأَنَّهُ يَقْطَعُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُوَاصِلَهُ مِنَ الشُّكْرِ ، وَيُقَالُ: كَنَدَ الْحَبْلَ: إِذَا قَطَعَهُ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْوَاسِطِيُّ:

الْكَنُودُ: الَّذِي يُنْفِقُ نِعَمَ اللهِ فِي مَعَاصِي اللهِ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ: الْكَنُودُ: الَّذِي يَرَىٰ النِّعْمَةَ مِنْ نَفْسِهِ وَأَعْوَانِهِ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: الَّذِي يَرَىٰ النِّعْمَةَ وَلَا يَرَىٰ الْمُنْعِمَ

[٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ قَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ: وَإِنَّ اللهَ عَلَىٰ كَوْنِهِ كَنُودًا لَشَاهِدٌ، وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ: الْهَاءُ رَاجِعَةٌ إِلَىٰ الْإِنْسَانِ أَيْ إِنَّهُ شَاهِدٌ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِمَا يَصْنَعُ.

[٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّهُ﴾ يَعْنِي الْإِنْسَانَ ﴿لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ أَيْ لِحُبِّ الْمَالِ، ﴿لَشَدِيدٌ﴾ أَيْ لَبَخِيلٌ، أَيْ إِنَّهُ مِنْ أَجْلِ حُبِّ الْمَالِ لَبَخِيلٌ، يُقَالُ لِلْبَخِيلِ: شَدِيدٌ وَمُتَشَدِّدٌ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَقَوِيٌّ أَيْ شَدِيدُ الْحُبِّ لِلْخَيْرِ، أَيِ الْمَالِ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: سَمَّىٰ اللهُ الْمَالَ خَيْرًا، وَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ شَرًّا وَحَرَامًا، وَلَكِنَّ النَّاسَ يَعُدُّونَهُ خَيْرًا، فَسَمَّاهُ اللهُ خَيْرًا لذلك.

[٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ هَذَا الْإِنْسَانِ، ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾ أَيْ أُثِيرَ وَقُلِبَ وَبُحِثَ، فَأُخْرِجَ مَا فِيهَا، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: بَعْثَرْتُ الْمَتَاعَ: جَعَلْتُ أَسْفَلَهُ أَعْلَاهُ، ﴿مَا فِي الْقُبُورِ﴾ أَيْ أُخْرِجَ مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ.

[١٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ أَيْ مُيِّزَ وَأُبْرِزَ مَا فِيهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

[١١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ أَيْ عَالِمٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ، وَهُوَ عَالِمٌ بِهِمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَفِي غَيْرِهِ، وَلَكِنَّ الْمَعْنَىٰ أَنَّهُ يُجَازِيهِمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ.

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿الْقَارِعَةُ﴾ أَيِ الْقِيَامَةُ وَالسَّاعَةُ، اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْقِيَامَةِ لِأَنَّهَا تَقْرَعُ الْقُلُوبَ بِالْفَزَعِ، وَأَهْلُ اللُّغَةِ يَقُولُونَ: تَقُولُ الْعَرَبُ قَرَعَتْهُمُ الْقَارِعَةُ، وَفَقَرَتْهُمُ الْفَاقِرَةُ، إِذَا وَقَعَ بِهِمْ أَمْرٌ فَظِيعٌ.

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ تَهْوِيلٌ وَتَعْظِيمٌ.

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ تَأْكِيدٌ لِهَوْلِهَا وَفَظَاعَتِهَا، بِبَيَانِ خُرُوجِهَا عَنْ دَائِرَةِ عُلُومِ الْخَلْقِ عَلَىٰ مَعْنَىٰ أَنَّ عِظَمَ شَأْنِهَا وَمَدَىٰ شِدَّتِهَا، بِحَيْثُ لَا تَكَادُ تَنَالُهُ دِرَايَةُ أَحَدٍ، حَتَّىٰ يُدْرِيَكَ بِهَا .

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ الْفَرَاشُ: الطَّيْرُ الَّتِي تَرَاهَا تَتَهَافَتُ فِي النَّارِ، وَالْمَبْثُوثُ: الْمُفَرَّقُ وَقَالَ الْفَرَّاءُ: كَغَوْغَاءِ الْجَرَادِ شَبَّهَ الناس عند البعث بها يَمُوجُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ ، وَيَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنَ الْهَوْلِ كَمَا قَالَ: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ

رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي** »(١).

[٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ أَيِ الصُّوفِ الَّذِي يُنْفَشُ بِالْيَدِ ، ونسميه الصوف الْمَنْدُوفِ ، أَيْ تَصِيرُ هَبَاءً وَتَزُولُ، وأَهْلُ اللُّغَةِ يَقُولُونَ: الْعِهْنُ الصُّوفُ الْمَصْبُوغُ.

[٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ أَيْ: رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَىٰ سَيِّئَاتِهِ .

[٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ مَرْضِيَّةٍ فِي الْجَنَّةِ ، قَالَ الزَّجَّاجُ: ذَاتِ رِضًا يَرْضَاهَا صَاحِبُهَا.

[٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَىٰ حَسَنَاتِهِ، وَرُوِيَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّمَا ثَقُلَ مِيزَانُ مَنْ ثَقُلَ مِيزَانُهُ، لِأَنَّهُ وُضِعَ فِيهِ الْحَقُّ، وَحُقَّ لِمِيزَانٍ يَكُونُ فِيهِ الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا ، وَإِنَّمَا خَفَّ مِيزَانُ مَنْ خَفَّ مِيزَانُهُ، لِأَنَّهُ وُضِعَ فِيهِ الْبَاطِلُ، وَحَقَّ لِمِيزَانٍ يَكُونُ فِيهِ الْبَاطِلُ أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا.

---

(١) مسلم (٢٢٨٥) .

[٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ يَعْنِي جَهَنَّمُ، وَسَمَّاهَا أُمًّا، لِأَنَّهُ يَأْوِي إِلَيْهَا كَمَا يَأْوِي إِلَىٰ أُمِّهِ، وَالْهَاوِيَةُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ جهنم، وهو الهوة التي لَا يُدْرَكُ قَعْرُهَا، وَقَالَ قَتَادَةُ: وَهِيَ كَلِمَةٌ عَرَبِيَّةٌ كَانَ الرَّجُلُ إِذَا وَقَعَ فِي أَمْرٍ شَدِيدٍ، يُقَالُ: هَوَتْ أُمُّهُ. وَقِيلَ: أَرَادَ أُمَّ رَأْسِهِ يَعْنِي أَنَّهُمْ يَهْوُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ.

[١٠] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾ يَعْنِي الْهَاوِيَةَ وَأَصْلُهَا مَا هِيَ أدخل الهاء فيها للوقف ثُمَّ فَسَّرَهَا. فَقَالَ:

[١١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ أَيْ حَارَّةٌ قَدِ انْتَهَىٰ حَرُّهَا. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « **نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ** » ، قَالُوا: وَاللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةٌ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ : « **فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا** »(١).

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ الْقَارِعَةِ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ

---

(١) البخاري (٣٢٦٥) ومسلم (٢٨٤٣) .

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ.

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ أَيْ شَغَلَكُمُ الْمُبَاهَاةُ بِكَثْرَةِ الْمَالِ وَالْعَدَدِ عَنْ طَاعَةِ اللهِ، حَتَّىٰ مِتُّمْ وَدُفِنْتُمْ فِي الْمَقَابِرِ ، وَقِيلَ أَلْهاكُمْ: أَنْسَاكُمْ ، التَّكاثُرُ أَيْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْرَأُ ﴿أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ﴾ قَالَ: « **يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي! وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟ وَمَا سِوَىٰ ذَلِكَ فَذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ** »[١].

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ حَتَّىٰ مُتُّمْ وَدُفِنْتُمْ فِي الْمَقَابِرِ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : أَيْ حَتَّىٰ أَتَاكُمُ الْمَوْتُ، فَصِرْتُمْ فِي الْمَقَابِرِ زُوَّارًا، تَرْجِعُونَ مِنْهَا كَرُجُوعِ الزَّائِرِ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ مِنْ جَنَّةٍ أَوْ نَارٍ، يُقَالُ لِمَنْ مَاتَ: قَدْ زَارَ قَبْرَهُ ، ثُمَّ رَدَّ اللهُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ:

---

(١) مسلم (٢٩٥٨) .

[٣] : ﴿كَلَّا﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ بِالتَّكَاثُرِ، ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وَعِيدٌ لَهُمْ، ثُمَّ تُكَرِّرُهُ تَأْكِيدًا فَقَالَ:

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ قَالَ الْحَسَنُ البصري: هُوَ وَعِيدٌ بَعْدَ وَعِيدٍ وَالْمَعْنَىٰ سَوْفَ تَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ تَكَاثُرِكُمْ وَتَفَاخُرِكُمْ إِذَا نَزَلَ بِكُمُ الْمَوْتُ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يَعْنِي الْكُفَّارَ، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يَعْنِي الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : هَذَا وَعِيدٌ بَعْدَ وَعِيدٍ.

[٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ أَيْ عِلْمًا يَقِينًا فَأَضَافَ الْعِلْمَ إِلَىٰ الْيَقِينِ كَقَوْلِهِ: ﴿لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة : ٩٥] وَجَوَابُ (لَوْ) مَحْذُوفٌ أَيْ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمًا يَقِينًا لَشَغَلَكُمْ مَا تَعْلَمُونَ عَنِ التَّكَاثُرِ وَالتَّفَاخُرِ، قَالَ قَتَادَةُ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ عِلْمَ الْيَقِينِ : أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ بَاعِثُهُ بَعْدَ الْمَوْتِ.

[٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ أَيْ: تَرَوْنَهَا بِأَبْصَارِكُمْ مِنْ بَعْدُ ، ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ مُشَاهَدَةً ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ أَيْ: رُؤْيَةً بَصَرِيَّةً، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ :﴿وَرَأَىٰ الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف : ٥٣].

[٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ الَّذِي تَنَعَّمْتُمْ بِهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا، هَلْ قُمْتُمْ بِشُكْرِهِ، وَأَدَّيْتُمْ حَقَّ اللهِ فِيهِ، وَلَمْ تَسْتَعِينُوا بِهِ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ، فَيُنْعِمَكُمْ نَعِيمًا أَعْلَىٰ مِنْهُ وَأَفْضَلَ؟ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَفَعَهُ قَالَ:الْأَمْنُ وَالصِّحَّةُ، وَقَالَ قَتَادَةُ: إِنَّ اللهَ يَسْأَلُ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ عَمَّا أَنْعَمَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: إِنَّ

مَا سَدَّ الْجُوعَ وَسَتَرَ الْعَوْرَةَ مِنْ خَشِنِ الطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ، لَا يُسْأَلُ عَنْهُ الْمَرْءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّمَا يُسْأَلُ عَنِ النَّعِيمِ ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: يَعْنِي عَمَّا أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: عَنِ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَنِ ، وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ: تَخْفِيفُ الشَّرَائِعِ وتيسير القرآن.

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ التَّكَاثُرِ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ

سُورَةُ الْعَصْرِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ.

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَالْعَصْرِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَالدَّهْرِ، قِيلَ: أَقْسَمَ بِهِ لِأَنَّ فِيهِ عِبْرَةً لِلنَّاظِرِ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ وَرَبِّ الْعَصْرِ، وَكَذَلِكَ فِي أَمْثَالِهِ ، وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ: أَرَادَ بِالْعَصْرِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، يُقَالُ لَهُمَا الْعَصْرَانِ، وَقَالَ الْحَسَنُ البصري : العصر مِنْ بَعْدِ زَوَالِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غُرُوبِهَا ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: أَقْسَمَ بِصَلَاةِ الْعَصْرِ وَهِيَ الصَّلَاةُ الْوُسْطَىٰ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : هو أَيْ عَصْرٌ أَقْسَمَ اللهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِمَا فِيهِ مِنَ التَّنْبِيهِ بِتَصَرُّفِ الْأَحْوَالِ وَتَبَدُّلِهَا، وَمَا فِيهَا مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ الصَّانِعِ .

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ أَيْ خُسْرَانٍ وَنُقْصَانٍ، قِيلَ: أَرَادَ بِهِ الْكَافِرَ بِدَلِيلِ أَنَّهُ اسْتَثْنَىٰ المؤمنين، والخسران ذَهَابُ رَأْسِ مَالِ الْإِنْسَانِ فِي هَلَاكِ نَفْسِهِ وَعُمُرِهِ بِالْمَعَاصِي، وَهُمَا أَكْبَرُ رَأْسِ مَالِهِ.

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾ أَيْ أَدَّوُا الْفَرَائِضَ الْمُفْتَرَضَةَ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمْ لَيْسُوا فِي خُسْرَانٍ ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ أوصىٰ بعضهم بعضاً، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : ومعنىٰ ﴿وَتَواصَوْا﴾ أَيْ تَحَابَّوْا، أَوْصَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَحَثَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ﴿بِالْحَقِّ﴾ بِالْقُرْآنِ قَالَهُ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: بِالْإِيمَانِ

وَالتَّوْحِيدِ، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ عَلَىٰ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَإِقَامَةِ أَمْرِ اللهِ ، قَالَ السُّدِّيُّ: الْحَقُّ هُنَا هُوَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّبْرِ عَنْ مَعَاصِيهِ. وقَالَ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا عُمِّرَ فِي الدُّنْيَا وَهَرِمَ، لَفِي نَقْصٍ وَضَعْفٍ وَتَرَاجُعٍ، إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهُمْ تُكْتَبُ لَهُمْ أُجُورُهُمُ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي حَالِ شَبَابِهِمْ ، وكان الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ يقول: لَوْ تَدَبَّرَ النَّاسُ هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ:

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ الْعَصْرِ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ

سُورَةُ الْهُمَزَةِ

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ (ويل) مَعْنَاهُ الْخِزْيُ وَالْعَذَابُ وَالْهَلَكَةُ ، وَقِيلَ: وَادٍ فِي جَهَنَّمَ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُمُ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: الْهُمَزَةُ الَّذِي يَعِيبُكَ فِي الغيب، واللمزة الَّذِي يَعِيبُكَ فِي الْوَجْهِ ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَقَتَادَةُ: الْهَمْزَةُ الَّذِي يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ وَيَغْتَابُهُمْ، واللمزة الطَّعَّانُ عَلَيْهِمْ ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْهُمَزَةُ الَّذِي يَهْمِزُ النَّاسَ بِيَدِهِ ويضربهم، واللمزة الَّذِي يَلْمِزُهُمْ بِلِسَانِهِ وَيَعِيبُهُمْ ، وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: وَيَهْمِزُ بِلِسَانِهِ وَيَلْمِزُ بعينيه ، وَأَصْلُ الْهَمْزِ: الْكَسْرُ، وَالْعَضُّ عَلَىٰ الشَّيْءِ بِعُنْفٍ، وَمِنْهُ هَمْزُ الْحَرْفِ ، وَيُقَالُ: هَمَزْتُ رَأْسَهُ، وَهَمَزْتُ الْجَوْزَ بِكَفِّي كَسَرْتُهُ. وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ: أَتَهْمِزُونَ (الْفَارَةَ)؟ فَقَالَ: إِنَّمَا تَهْمِزُهَا الْهِرَّةُ ، وَقِيلَ: أَصْلُ الْهَمْزِ وَاللَّمْزِ: الدَّفْعُ وَالضَّرْبُ، لَمَزَهُ يَلْمِزُهُ لَمْزًا: إِذَا ضَرَبَهُ وَدَفَعَهُ. وَكَذَلِكَ هَمَزَهُ: أَيْ دَفَعَهُ وَضَرَبَهُ. ثُمَّ وَصَفَهُ فَقَالَ:

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ أَيْ جَمَعَهُ بَعْضَهُ علىٰ بعض وأحصىٰ عدده ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: اسْتَعَدَّهُ وَادَّخَرَهُ وَجَعَلَهُ عَتَادًا لَهُ، يُقَالُ: أَعْدَدْتُ

الشَّيْءَ وَعَدَّدْتُهُ إِذَا أَمْسَكْتُهُ ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: أَلْهَاهُ مَالُهُ بِالنَّهَارِ، هَذَا إِلَىٰ هَذَا، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ نَامَ كَأَنَّهُ جِيفَةٌ

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿يَحْسَبُ﴾ أَيْ يَظُنُّ ﴿أَنَّ مالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ فِي الدُّنْيَا يَظُنُّ أَنَّهُ لَا يموت مع يساره ، قَالَ عِكْرِمَةُ: أَيْ يَزِيدُ فِي عُمْرِه ، قَالَ السَّعْدِيُّ : فَلِذَلِكَ كَانَ كَدُّهُ وَسَعْيُهُ كُلُّهُ فِي تَنْمِيَةِ مَالِهِ، الَّذِي يَظُنُّ أَنَّهُ يُنَمِّي عُمُرَهُ، وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ الْبُخْلَ يَقْصِفُ الْأَعْمَارَ، وَيُخْرِبُ الدِّيَارَ، وَأَنَّ الْبِرَّ يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ.

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿كَلَّا﴾ رد عَلَيْهِ أَنْ لَا يُخَلِّدَهُ مَالُهُ، ﴿لَيُنْبَذَنَّ﴾ ليطرحن، وَالنَّبْذُ: الْإِلْقَاءُ وَالطَّرْحُ، وَأَكْثَرُ اسْتِعْمَالِهِ فِي إِلْقَاءِ مَا يُكْرَهُ، كما في قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَخَذْناهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ ﴿فِي الْحُطَمَةِ﴾ فِي جَهَنَّمَ، أَيْ لَيُنْبَذَنَّ فِي شَيْءٍ يُحَطِّمُهُ، أَيْ يَكْسِرُهُ وَيَدُقُّهُ ، وَالْحَطْمَةُ مِنْ أَسْمَاءِ النَّارِ مِثْلُ سَقَرَ وَلَظَىٰ سُمِّيَتْ حُطَمَةَ لِأَنَّهَا تَحْطِمُ الْعِظَامَ وَتَكْسِرُهَا.

[٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ عَلَىٰ التَّعْظِيمِ لشأنها، والتفخيم لأمرها.

[٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ﴾ أَيْ: الَّتِي أُوقِدَ عَلَيْهَا الْأَحْقَابَ الطَّوِيلَةَ، فَهِيَ غَيْرُ خَامِدَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْعُصَاةِ.

[٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَىٰ الْأَفْئِدَةِ﴾ أي التي بلغ أَلَمُهَا وَوَجَعُهَا إِلَىٰ الْقُلُوبِ، وَالِاطِّلَاعُ والبلوغ التطلع بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ، يُحْكَىٰ عَنِ الْعَرَبِ مَتَىٰ طَلَعْتَ أَرْضَنَا أَيْ بَلَغْتَ، وَمَعْنَىٰ الْآيَةِ: أَنَّهَا تَأْكُلُ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهُ حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ

فُؤَادِهِ، قَالَهُ الْقُرَظِيُّ وَالْكَلْبِيُّ ، وقَالَ ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ: تَحْرِقُهُمْ إِلىٰ الأفئدة وهم أحياء .

[٨] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ مُطْبَقَةٌ مُغْلَقَةٌ.

[٩] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ يَعْنِي: الْأَبْوَابُ هِيَ الْمُمَدَّدَةُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَدْخَلَهُمْ فِي عَمَدٍ ، فَمُدَّتْ عَلَيْهِمْ بِعِمَادٍ، وَفِي أَعْنَاقِهِمُ السَّلَاسِلُ سُدَّتْ عَلَيْهِمْ بِهَا الْأَبْوَابُ، وَقَالَ قَتَادَةُ: بَلَغَنَا أَنَّهَا أَعْمِدَةٌ يُعَذَّبُونَ بِهَا فِي النَّارِ، قَالَ مُقَاتِلٌ: أَطْبَقَتِ الْأَبْوَابُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ سُدَّتْ بِأَوْتَادٍ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ نَارٍ حَتَّىٰ يَرْجِعَ عَلَيْهِمْ غَمُّهَا وَحَرُّهَا فَلَا يُفْتَحَ عَلَيْهِمْ بَابٌ وَلَا يُدْخَلَ عَلَيْهِمْ رِيحٌ.

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ الْهُمَزَةِ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ

سُورَةُ الْفِيلِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ.

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ قَالَ السَّعْدِيُّ: أَيْ: أَمَا رَأَيْتَ مِنْ قُدْرَةِ اللهِ وَعَظِيمِ شَأْنِهِ، وَرَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ، وَأَدِلَّةِ تَوْحِيدِهِ، وَصِدْقِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا فَعَلَهُ اللهُ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ، الَّذِينَ كَادُوا بَيْتَهُ الْحَرَامَ وَأَرَادُوا إِخْرَابَهُ، فَتَجَهَّزُوا لِأَجْلِ ذَلِكَ، وَاسْتَصْحَبُوا مَعَهُمُ الْفِيَلَةَ لِهَدْمِهِ، وَجَاءُوا بِجَمْعٍ لَا قِبَلَ لِلْعَرَبِ بِهِ، مِنَ الْحَبَشَةِ وَالْيَمَنِ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَىٰ قُرْبِ مَكَّةَ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْعَرَبِ مُدَافَعَةٌ، وَخَرَجَ أَهْلُ مَكَّةَ مِنْ مَكَّةَ خَوْفًا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ مِنْهُمْ، أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ أَيْ: مُتَفَرِّقَةً، تَحْمِلُ حِجَارَةً مُحْمَاةً مِنْ سِجِّيلٍ، فَرَمَتْهُمْ بِهَا، وَتَتَبَّعَتْ قَاصِيَهُمْ وَدَانِيَهُمْ، فَخَمَدُوا وَهَمَدُوا، وَصَارُوا كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ، وَكَفَىٰ اللهُ شَرَّهُمْ، وَرَدَّ كَيْدَهُمْ فِي نُحُورِهِمْ، وَقِصَّتُهُمْ مَعْرُوفَةٌ مَشْهُورَةٌ ، وَكَانَتْ تِلْكَ السَّنَةُ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَارَتْ مِنْ جُمْلَةِ إِرْهَاصَاتِ دَعْوَتِهِ، وَمُقَدِّمَاتِ رِسَالَتِهِ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ.

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ كَيْدَهُمْ يَعْنِي: مَكْرَهُمْ وَسَعْيَهُمْ فِي تَخْرِيبِ الْكَعْبَةِ ، وَقَوْلُهُ: ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ عَمَّا أَرَادُوا، ضَلَّلَ كَيْدَهُمْ حَتَّىٰ لَمْ يَصِلُوا إِلَىٰ الْكَعْبَةِ، وَإِلَىٰ مَا أَرَادُوهُ بِكَيْدِهِمْ ، وقال مُقَاتِلٌ: فِي خَسَارَةٍ وَقِيلَ: فِي بُطْلَانٍ.

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ كَثِيرَةً مُتَفَرِّقَةً يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: أَبَابِيلُ جَمَاعَاتٌ فِي تَفْرِقَةٍ، يُقَالُ : جَاءَتِ الْخَيْلُ أَبَابِيلَ مِنْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْأَبَابِيلُ: الْمُخْتَلِفَةُ، تَأْتِي مِنْ هَا هُنَا، وَتَأْتِي مِنْ هَا هُنَا، أَتَتْهُمْ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ .

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ من طين ، قال ابن مَسْعُودٍ صَاحَتِ الطَّيْرُ وَرَمَتْهُمْ بِالْحِجَارَةِ ، فَبَعَثَ اللهُ رِيحًا فَضَرَبَتِ الْحِجَارَةَ ، فَزَادَتْهَا شِدَّةً ، فَمَا وَقَعَ مِنْهَا حَجَرٌ عَلَىٰ رَجُلٍ إِلَّا خَرَجَ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ، وَإِنْ وَقَعَ عَلَىٰ رَأْسِهِ خَرَجَ مِنْ دُبُرِهِ.

[٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ كزرع وتين أَكَلَتْهُ الدَّوَابُّ فَرَاثَتْهُ فَيَبِسَ وَتَفَرَّقَتْ أَجْزَاؤُهُ، شَبَّهَ تَقَطُّعَ أَوْصَالِهِمْ بِتَفَرُّقِ أَجْزَاءِ الرَّوْثِ ، قَالَ ابْنُ عَاشُورٍ : وَالْعَصْفُ: وَرَقُ الزَّرْعِ وَهُوَ جَمْعُ عَصْفَةٍ ، وَالْعَصْفُ إِذَا دَخَلَتْهُ الْبَهَائِمُ فَأَكَلَتْهُ دَاسَتْهُ بِأَرْجُلِهَا وَأَكَلَتْ أَطْرَافَهُ وَطَرَحَتْهُ عَلَىٰ الْأَرْضِ بَعْدَ أَنْ كَانَ أَخْضَرَ يَانِعًا ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سِجِّيلٌ بِالْفَارِسِيَّةِ: سَنْكُ وَكِلْ، حَجَرٌ وَطِينٌ فَهِيَ مِنَ النَّوْعِ الشَّدِيدِ الصُّلْبِ قَالَ مُجَاهِدٌ: الْعَصْفُ وَرَقُ الْحِنْطَةِ ، وَقَالَ قَتَادَةُ: هُوَ

التِّبْنُ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: كَالْحَبِّ إِذَا أُكِلَ فَصَارَ أَجْوَفَ ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ الْقِشْرُ الْخَارِجُ الَّذِي يَكُونُ عَلَىٰ حَبِّ الْحِنْطَةِ كَهَيْئَةِ الغلاف له.

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفِيلِ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ

سُورَةُ قُرَيْشٍ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ .

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: أَلِفُوا ذَلِكَ فَلَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ، وَاخْتَلَفُوا فِي الْعِلَّةِ الْجَالِبَةِ لِلَّامِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِإِيلَافِ﴾ قَالَ الْكِسَائِيُّ وَالْأَخْفَشُ: هِيَ لَامُ التَّعَجُّبِ، يَقُولُ: اعْجَبُوا لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، وَتَرْكِهِمْ عبادة رب البيت، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: هِيَ مَرْدُودَةٌ إِلَىٰ مَا بَعْدَهَا تَقْدِيرُهُ: فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ لِإِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ. وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: لِنِعْمَتِي عَلَىٰ قُرَيْشٍ، وَاخْتَارَ الطَّبَرِيُّ أَنَّ اللَّامَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ لَامُ التَّعَجُّبِ، وَالتَّقْدِيرُ عِنْدَهُ: اعْجَبُوا لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ وَنِعْمَتِي عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ.

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿إِيلَافِهِمْ﴾ بَدَلٌ مِنَ الْإِيلَافِ الْأَوَّلِ، ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ ﴿رِحْلَةَ﴾ أَيِ ارْتِحَالَهُمْ رحلة الشتاء والصيف، كَانَتْ لَهُمْ رِحْلَتَانِ فِي كُلِّ عَامٍ لِلتِّجَارَةِ إِحْدَاهُمَا فِي الشِّتَاءِ إِلَىٰ الْيَمَنِ لِأَنَّهَا أَدْفَأُ، وَالْأُخْرَىٰ فِي الصَّيْفِ إِلَىٰ الشَّامِ. وَكَانَ الْحَرَمُ وَادِيًا جَدْبًا لَا زَرْعَ فِيهِ وَلَا ضَرْعَ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ

تَعِيشُ بِتِجَارَتِهِمْ وَرِحْلَتِهِمْ، وَكَانَ لَا يَتَعَرَّضُ لَهُمْ أَحَدٌ بِسُوءٍ، كَانُوا يَقُولُونَ: قُرَيْشٌ سُكَّانُ حَرَمِ اللهِ وَوُلَاةُ بَيْتِهِ، فَلَوْلَا الرِّحْلَتَانِ لَمْ يكن لهم مقام بمكة وأمرهم الله بِعِبَادَةِ رَبِّ الْبَيْتِ فَقَالَ:

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ أَيِ الْكَعْبَةِ. أَيْ: فَلْيُوَحِّدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ وَلْيُفْرِدُوهُ بِالْعِبَادَةِ وَالتَّعْظِيمِ، كَمَا جَعَلَ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا وَبَيْتًا مُحَرَّمًا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النَّمْل: ٩١] ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا عَرَّفَهُمْ أَنَّهُ رَبُّ هَذَا الْبَيْتِ، لِأَنَّهُ كَانَتْ لَهُمْ أَوْثَانٌ يَعْبُدُونَهَا، فَمَيَّزَ تَعَالَىٰ نَفْسَهُ عَنْهَا، وَهُمْ بِالْبَيْتِ قَدْ تَشَرَّفُوا عَلَىٰ سَائِرِ الْعَرَبِ، فَفِي ذَلِكَ تَنْبِيهٌ لَهُمْ أَنَّ الْعَرَاقَةَ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ رَبِّ هَذَا الْبَيْتِ ، الَّذِي أُسِّسَ عَلَىٰ التَّوْحِيدِ لَا بِشَرَفِ الْمَالِ وَالنَّسَبِ.

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ أَيْ مِنْ بَعْدِ جُوعٍ بِحَمْلِ الْمِيرَةِ إِلَىٰ مَكَّةَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ قَالَ: ﴿وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [إبراهيم : ٣٧] ، قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ بِالْحَرَمِ وَكَوْنِهِمْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ حَتَّىٰ لَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُمْ فِي رحلتهم ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِحْصَنٍ الْخَطْمِيِّ - وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًىٰ فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا** » ، وَحِيزَتْ: أَيْ جُمِعَتْ.

سُورَةُ الْمَاعُونِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ فِي الْقَوْلِ الرَّاجِحِ.

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ أَيْ بِالْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ، وَالْمَعْنَىٰ: أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ: أَمُصِيبٌ هُوَ أَمْ مُخْطِئٌ.

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ يَقْهَرُهُ وَيَدْفَعُهُ عَنْ حَقِّهِ، وَالدَّعُّ: الدَّفْعُ بِالْعُنْفِ وَالْجَفْوَةِ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : يَدْفَعُهُ عَنْ حَقِّهِ ، وقال قَتَادَةُ: يَقْهَرُهُ وَيَظْلِمُهُ.

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ لَا يَطْعَمُهُ وَلَا يَأْمُرُ بِإِطْعَامِهِ لِأَنَّهُ يُكَذِّبُ بِالْجَزَاءِ.

[٤-٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ لَاهُونَ يَتَغَافَلُونَ عَنْهَا، وَفِي اللَّهْوِ عَنْهَا وَالتَّشَاغُلِ بِغَيْرِهَا، تَضْيِيعُهَا أَحْيَانًا، وَتَضْيِيعُ وَقْتِهَا أُخْرَىٰ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُمُ الْمُنَافِقُونَ يَتْرُكُونَ الصَّلَاةَ إِذَا غَابُوا عَنِ النَّاسِ، وَيُصَلُّونَهَا فِي الْعَلَانِيَةِ إِذَا حَضَرُوا. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : وَمَعْنَىٰ (فِي) أَنَّ السَّهْوَ يَعْتَرِيهِمْ فِيهَا، بِوَسْوَسَةِ شَيْطَانٍ، أَوْ حَدِيثِ نَفْسٍ، وَذَلِكَ لَا يَكَادُ يَخْلُو مِنْهُ مُسْلِمٌ، قال عطاء بن دينار: الحمد لِلَّهِ

الَّذِي قَالَ: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ وَلَمْ يقل (في صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) فيؤخرونها إلىٰ آخر الوقت، أو لا يؤدونها بأركانها وشروطها عَنِ الْخُشُوعِ فِيهَا وَالتَّدَبُّرِ لِمَعَانِيهَا، فَاللَّفْظُ يَشْمَلُ ذلك كله، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ قَامَ فَنَقَرَ أَرْبَعًا، لَا يَذْكُرُ الله فيها إلا قليلاً**»(١).

[٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ أَيْ يُرِي النَّاسَ أَنَّهُ يُصَلِّي طَاعَةً وَهُوَ يُصَلِّي تَقْيَةً، كَالْفَاسِقِ، يُرِي أَنَّهُ يُصَلِّي عِبَادَةً وَهُوَ يُصَلِّي لِيُقَالَ: إِنَّهُ يُصَلِّي. وَحَقِيقَةُ الرِّيَاءِ طَلَبُ مَا فِي الدُّنْيَا بِالْعِبَادَةِ، وَأَصْلُهُ طَلَبُ الْمَنْزِلَةِ فِي قُلُوبِ النَّاسِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: سَاهٍ عَنْهَا لَا يُبَالِي صَلَّىٰ أم لم يصل ، قيل: لَا يَرْجُونَ لَهَا ثَوَابًا إِنْ صَلَّوْا وَلَا يَخَافُونَ عِقَابًا إِنْ تَرَكُوا، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: غَافِلُونَ عَنْهَا يَتَهَاوَنُونَ بِهَا. وَقَالَ الْحَسَنُ: هُوَ الَّذِي إِنْ صَلَّاهَا صَلَّاهَا رِيَاءً، وَإِنْ فَاتَتْهُ لَمْ يَنْدَمْ ، وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: لَا يُصَلُّونَهَا لِمَوَاقِيتِهَا وَلَا يُتِمُّونَ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا، وَقَدْ أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ وَابْنُ خُزَيْمَةَ مِنْ حَدِيثِ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ

---

(١) مسلم (٦٢٢).

اللهِ وَمَا شِرْكُ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَىٰ مِنْ نَظَرِ الرَّجُلِ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ.

[٧] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ أَيْ لَا أَحْسَنُوا عِبَادَةَ رَبِّهِمْ، وَلَا أَحْسَنُوا إِلَىٰ خَلْقِهِ، حَتَّىٰ وَلَا بِإِعَارَةِ ما ينتفع به مع بقاء عينه ورجوعهم إِلَيْهِمْ، فَهَؤُلَاءِ لِمَنْعِ الزَّكَاةِ وَأَنْوَاعِ الْقُرُبَاتِ أُولَىٰ وأولىٰ ، رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: هِيَ الزكاة ، وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: الْمَاعُونُ الْفَأْسُ وَالدَّلْوُ وَالْقِدْرُ وَأَشْبَاهُ ذلك ، وقال مُجَاهِدٌ: الْمَاعُونُ الْعَارِيَةُ ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: أَعْلَاهَا الزَّكَاةُ الْمَعْرُوفَةُ، وَأَدْنَاهَا عَارِيَةُ المتاع ، وَقِيلَ: الْمَاعُونُ مَا لَا يَحِلُّ مَنْعُهُ مِثْلُ الْمَاءِ وَالْمِلْحِ وَالنَّارِ.

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمَاعُونِ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ

سُورَةُ الْكَوْثَرِ

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ .

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ روى مسلم عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أظهرنا في المسجد إذا أغفىٰ إغفاءة، ثم رفع مُبْتَسِمًا قُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قال: «لقد أُنْزِلَتْ عليَّ آنِفًا سُورَةٌ» فَقَرَأَ: ﴿بسمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، ثُمَّ قَالَ: « **أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟**» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ** »[١].

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ قَالَ السَّعْدِيُّ : خَصَّ هَاتَيْنِ الْعِبَادَتَيْنِ بِالذِّكْرِ، لِأَنَّهُمَا مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ وَأَجَلِّ الْقُرُبَاتِ، وَلِأَنَّ الصَّلَاةَ

---

(١) مسلم (٤٠٠) .

تَتَضَمَّنُ الْخُضُوعَ فِي الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ لِلَّهِ، وَتَنَقُّلَهَا فِي أَنْوَاعِ الْعُبُودِيَّةِ، وَفِي النَّحْرِ تَقَرُّبٌ إِلَىٰ اللهِ بِأَفْضَلِ مَا عِنْدَ الْعَبْدِ مِنَ النَّحَائِرِ، وَإِخْرَاجٌ لِلْمَالِ الَّذِي جُبِلَتِ النُّفُوسُ عَلَىٰ مَحَبَّتِهِ وَالشُّحِّ بِهِ ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: إِنْ أُنَاسًا كَانُوا يُصَلُّونَ لِغَيْرِ اللهِ وَيَنْحَرُونَ لِغَيْرِ اللهِ، فَأَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُصَلِّيَ وَيَنْحَرَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: فَصَلِّ لِرَبِّكَ صَلَاةَ الْعِيدِ يَوْمَ النَّحْرِ وَانْحَرْ نُسُكَكَ ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَمُجَاهِدٌ: فَصَلِّ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةِ بِجَمْعٍ، وَانْحَرَ الْبُدْنَ بِمِنًىٰ .

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ أَيْ إِنَّ مُبْغِضَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَمُبْغِضَ مَا جِئْتَ بِهِ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْحَقِّ، وَالْبُرْهَانِ السَّاطِعِ وَالنُّورِ الْمُبِينِ ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ هُوَ الْأَقَلُّ الْأَذَلُّ الْمُنْقَطِعُ دَابِرُهُ، قَالَ يزيد بن رومان : كَانَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ إِذَا ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: دَعُوهُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَبْتَرُ لَا عَقِبَ لَهُ، فَإِذَا هَلَكَ انْقَطَعَ ذِكْرُهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ السُّورَةَ.

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ الْكَوْثَرِ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ

سُورَةُ الْكَافِرُونَ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِالِاتِّفَاقِ.

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ أَيْ: قُلْ لِلْكَافِرِينَ مُعْلِنًا وَمُصَرِّحًا.

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ أَيْ: تَبَرَّأْ مِمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: هَذِهِ سُورَةُ الْبَرَاءَةِ مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي يَعْمَلُهُ الْمُشْرِكُونَ، فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ يَشْمَلُ كُلَّ كَافِرٍ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ، وَلَكِنَّ الْمُوَجَّهِينَ بِهَذَا الْخِطَابِ هُمْ (كُفَّارُ قُرَيْشٍ) دَعَوْا رَسُولَ اللهِ إِلَىٰ عِبَادَةِ أَوْثَانِهِمْ سَنَةً، وَيَعْبُدُونَ مَعْبُودَهُ سَنَةً، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ السُّورَةَ وَأَمَرَ رَسُولَهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْ دِينِهِمْ بِالْكُلِّيَّةِ، ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ يَعْنِي مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نَحْنُ نُعْطِيكَ مِنَ الْمَالِ مَا تَكُونُ بِهِ أَغْنَىٰ رَجُلٍ بِمَكَّةَ، وَنُزَوِّجُكَ مَنْ شِئْتَ، وَنَطَأُ عَقِبَكَ، أَيْ نَمْشِي خَلْفَكَ، وَتَكُفُّ عَنْ شَتْمِ آلِهَتِنَا، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَنَحْنُ نَعْرِضُ عَلَيْكَ خَصْلَةً وَاحِدَةً هِيَ لَنَا وَلَكَ صَلَاحٌ، تعبد آلهتنا اللات والعزىٰ وَنَحْنُ نَعْبُدُ إِلَهَكَ سَنَةً ، فَنَزَلَتِ السُّورَةُ.

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ وَإِنَّمَا تَعْبُدُونَ الْوَثَنَ الَّذِي اتَّخَذْتُمُوهُ، وَهُوَ عِنْدَكُمُ الْآنَ. وَلا أَنا عابِدٌ مَا عَبَدْتُّمْ أَيْ بِالْأَمْسِ مِنَ الْآلِهَةِ الَّتِي رَفَضْتُمُوهَا، وَأَقْبَلْتُمْ عَلَىٰ هَذِهِ. وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ مَا أَعْبُدُ فَإِنِّي أَعْبُدُ إِلَهِي.

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ عَلَىٰ نَفْيِ الْعِبَادَةِ مِنْهُ لِمَا عَبَدُوا فِي الْمَاضِي .

[٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ فِي الِاسْتِقْبَالِ، وَهَذَا خِطَابٌ لِمَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللهِ أَنَّهُمْ لا يؤمنون، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنْ سَرَّكَ أَنْ نَدْخُلَ فِي دِينِكَ عَامًا فَادْخُلْ فِي دِينِنَا عَامًا، فَنَزَلَتْ هذه السورة.

[٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ في الشرك، ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ الإسلام ، أَيْ إِنْ رَضِيتُمْ بِدِينِكُمْ، فَقَدْ رَضِينَا بِدِينِنَا ، وَكَانَ هَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ، فَنُسِخَ بِآيَةِ السَّيْفِ.

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ الْكَافِرُونَ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ

سُورَةُ النَّصْرِ

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ بِالِاتِّفَاقِ .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ دَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ، وَقَالَ: «**إِنَّهُ قَدْ نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي**» ، فَبَكَتْ ثُمَّ ضَحِكَتْ، وَقَالَتْ: أَخْبَرَنِي أَنَّهُ نُعِيَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ، فَبَكَيْتُ، ثُمَّ قَالَ: «**اصْبِرِي فَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لِحَاقًا بِي**»[(١)].

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ يَا مُحَمَّدُ عَلَىٰ مَنْ عَادَاكَ وَهُمْ قُرَيْشٌ، وَالْفَتْحُ فَتْحُ مَكَّةَ ، والنَّصْرُ فِي اللغة: الْعَوْنُ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: قَدْ نَصَرَ الْغَيْثُ الْأَرْضَ: إِذَا أَعَانَ عَلَىٰ نباتها، من قحطها، روىٰ البخاري، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ: لِمَ يُدْخِلْ هَذَا مَعَنَا، وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رأيت أنه دعاني يومئذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي

(١) الدارمي (٨٣) .

قَوْلِ اللهِ عزَّ وجلَّ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَمَرَنَا أَنْ نَحْمَدَ اللهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نَصَرَنَا وَفَتَحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَكَذَلِكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لَا، فَقَالَ: مَا تَقُولُ؟ فَقُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَهُ لَهُ قَالَ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ فَذَلِكَ عَلَامَةُ أَجَلِكَ ﴿فسِّبح بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: لَا أَعْلَمُ منها إلاّ ما تقول[1].

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا﴾ زُمَرًا وَأَرْسَالًا الْقَبِيلَةُ بِأَسْرِهَا وَالْقَوْمُ بِأَجْمَعِهِمْ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ، قَالَ الْحَسَنُ البصري: لَمَّا فَتَحَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَكَّةَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ، قَالَتِ الْعَرَبُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ: إِذَا ظَفِرَ مُحَمَّدٌ بِأَهْلِ الْحَرَمِ، وَقَدْ كَانَ اللهُ أَجَارَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْفِيلِ، فَلَيْسَ لَكُمْ بِهِ يَدَانِ، فَكَانُوا يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا بَعْدَ أَنْ كَانُوا يَدْخُلُونَ وَاحِدًا وَاحِدًا، وَاثْنَيْنِ اثْنَيْنِ.

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ أَيْ إِذَا صَلَّيْتَ فَأَكْثِرْ مِنْ ذَلِكَ ، وَقِيلَ: مَعْنَىٰ سَبِّحْ: صَلِّ، فإنك حينئذ لاحق به، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلِمَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ نُعِيَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بِحَمْدِ رَبِّكَ أَيْ حَامِدًا لَهُ عَلَىٰ مَا آتَاكَ مِنَ الظَّفَرِ وَالْفَتْحِ

---

(١) البخاري (٤٩٧٠) .

، وَاسْتَغْفِرْهُ أَيْ سَلِ اللهَ الْغُفْرَانَ ، قَالَ الْحَسَنُ البصري: أُعْلِمَ أَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُ فَأُمِرَ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّوْبَةِ لِيُخْتَمَ لَهُ بِالزِّيَادَةِ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ ، وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ إِذا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ إِلَّا يَقُولُ: « **سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي** »[1] ، قَالَ قَتَادَةُ: عَاشَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ نُزُولِ هَذِهِ السورة سبعين يوما.

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّصْرِ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ وَكرمِهِ

(١) البخاري (٤٩٦٧) ومسلم (٤٨٤).

سُورَةُ الْمَسَدِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِالْإِجْمَاعِ .

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿تَبَّتْ﴾ أَيْ خَابَتْ وَخَسِرَتْ ﴿يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ أَيْ هُوَ، أَخْبَرَ عَنْ يَدَيْهِ وَالْمُرَادُ بِهِ نَفْسُهُ عَلَىٰ عَادَةِ الْعَرَبِ فِي التَّعْبِيرِ بِبَعْضِ الشَّيْءِ عَنْ كُلِّهِ ، وَقِيلَ : الْيَدُ صِلَةٌ، كَمَا يُقَالُ : يَدُ الدَّهْرِ وَيَدُ الرزايا والبلايا، وقيل : المراد به مَالُهُ وَمُلْكُهُ، يُقَالُ: فَلَانٌ قَلِيلُ ذَاتِ الْيَدِ، يَعْنُونَ بِهِ الْمَالَ والثياب والخسار وَالْهَلَاكُ ، وَأَبُو لَهَبٍ هُوَ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمُّ النَّبِيِّ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَاسْمُهُ عَبْدُ العزىٰ وَكَانَ كَثِيرَ الْأَذِيَّةِ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والبغض له، والتنقص له ولدينه، قَالَ ربيعة بن عباد - وَكَانَ جَاهِلِيًّا فَأَسْلَمَ - : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ وَهُوَ يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**» ، وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ

وَضِيءُ الْوَجْهِ، أَحْوَلُ ذُو غَدِيرَتَيْنِ، يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ، يَتْبَعُهُ حَيْثُ ذَهَبَ، فَسَأَلْتُ عنه، فقالوا: هذا عمه أبو لهب[1].

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، قَالَ الْفَرَّاءُ: الْأَوَّلُ دُعَاءٌ، وَالثَّانِي خَبَرٌ، كَمَا يُقَالُ: أَهْلَكَهُ اللهُ، وَقَدْ فَعَلَ.

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ﴾ أَيْ مَا يُغْنِي، وَقِيلَ: أَيُّ شيء عَنْهُ مَالُهُ، أَيْ مَا يَدْفَعُ عَنْهُ عَذَابَ اللهِ مَا جَمَعَ مِنَ الْمَالِ؟ وَكَانَ صَاحِبُ مَوَاشٍ ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ أَيْ لَمْ يَدْفَعْ عَنْهُ مَا جَمَعَ مِنَ الْمَالِ، وَلَا مَا كَسَبَ مِنَ الْأَرْبَاحِ وَالْجَاهِ وَالْوَلَدِ، مَا حَلَّ بِهِ مِنَ التَّبَابِ، وَمَا نَزَلَ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ. ثُمَّ وَعَدَهُ بِالنَّارِ فَقَالَ:

[٣] : ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أَيْ نَارًا تَلْتَهِبُ عَلَيْهِ.

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَامْرَأَتُهُ﴾ أُمُّ جَمِيلٍ بِنْتُ حَرْبِ بْنِ أمية أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ قال الضَّحَّاكُ: كَانَتْ تَحْمِلُ الشَّوْكَ وَالْعَضَاةَ فَتَطْرَحُهُ فِي طَرِيقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَصْحَابِهُ لِتَعْقِرَهُمْ،

[٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فِي جِيدِهَا﴾ فِي عُنُقِهَا، وَجَمْعُهُ أَجْيَادٌ، ﴿حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ الْجِيدُ: الْعُنُقُ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: ﴿فِي جِيدِهَا﴾ قَالَ: فِي رَقَبَتِهَا، وَالْمَسَدُ: اللِّيفُ، وَقَالَ الرَّازِيُّ: الْمَسَدُ أَيْضًا حَبْلٌ مِنْ لِيفٍ أَوْ خُوصٍ وَقَدْ يَكُونُ مِنْ جُلُودِ الْإِبِلِ أَوْ أَوْبَارِهَا ، وَ(مَسَدَ) الْحَبْلَ أَجَادَ فَتْلَهُ ، وَرَوَىٰ عن مُجَاهِدٍ: مِنْ مَسَدٍ أَيْ

---

(١) أحمد (١٦٠٢٣) .

مِنْ حديد. قال الأعمش فلمَّا سَمِعَتِ أم جميل مَا نَزَلَ فِي زَوْجِهَا وَفِيهَا مِنَ الْقُرْآنِ، أَتَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَفِي يَدِهَا فِهْرٌ «حجر بكبر الكف» مِنْ حِجَارَةٍ، فَلَمَّا وَقَفَتْ عَلَيْهِ أَخَذَ اللهُ بَصَرَهَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا تَرَىٰ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ. فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ صَاحِبَكَ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ يَهْجُونِي، وَاللهِ لَوْ وَجَدْتُهُ لَضَرَبْتُ بِهَذَا الْفِهْرِ فَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَتْ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمَا تَرَاهَا رَأَتْكَ؟ قَالَ: « **مَا رَأَتْنِي، لَقَدْ أَخَذَ اللهُ بَصَرَهَا عَنِّي** »(١).

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمَسَدِ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ

---

(١) الحاكم (٣٩٧١).

سُورَةُ الْإِخْلَاصِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ **تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**، وَ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ **تَعْدِلُ رُبُعَ الْقُرْآنِ**» .

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ يعني الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ فَأَنْزَلَ الله تعالىٰ هَذِهِ السُّورَةَ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ أَيْ وَاحِدٌ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْوَاحِدِ وَالْأَحَدِ.

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾ فَفِيهِ مَعَانٍ جَلِيلَةٌ ذَكَرَهَا الْمُفَسِّرُونَ:

الْأَوَّلُ: السَّيِّدُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي سُؤْدَدِهِ، وَالشَّرِيفُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي شَرَفِهِ، وَالْعَظِيمُ قَدْ كَمُلَ فِي عَظَمَتِهِ، وَالْحَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِلْمِهِ، وَالْعَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عِلْمِهِ، وَالْحَكِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِكْمَتِهِ، وَهُوَ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي أَنْوَاعِ الشَّرَفِ وَالسُّؤْدَدِ، وَهُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ

هَذِهِ صِفَتُهُ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لَهُ، لَيْسَ لَهُ كُفْءٌ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، سُبْحَانَ اللهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، وَعَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ شَقِيقٍ قَالَ: الصَّمَدُ: هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي قَدِ انْتَهَىٰ سُؤْدَدُهُ

الثَّانِي: الْبَاقِي، قَالَ قَتَادَةُ: هُوَ الْبَاقِي بَعْدَ خَلْقِهِ ، وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ: الصَّمَدُ : الدَّائِمُ.

الثَّالِثُ: الْحَيُّ الْقَيُّومُ، قَالَ الْحَسَنُ: الصَّمَدُ: الْحَيُّ الْقَيُّومُ الَّذِي لَا زَوَالَ لَهُ.

الرَّابِعُ: الَّذِي لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ ، قَالَ الشَّعْبِيُّ: الصَّمَدُ: الَّذِي لَا يَأْكُلُ الطَّعَامَ، وَلَا يَشْرَبُ الشَّرَابَ.

الْخَامِسُ: وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: الصَّمَدُ: الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يَلِدُ إِلَّا سَيُورَثُ، وَلَا شَيْءٌ يُولَدُ إِلَّا سَيَمُوتُ، فَأَخْبَرَهُمْ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنَّهُ لَا يُورَثُ وَلَا يَمُوتُ.

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ أَيْ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ وَلَا صَاحِبَةٌ، لِكَمَالِ غِنَاهُ .

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ يَعْنِي لَا صَاحِبَةَ لَهُ، وَمَعْنَاهُ: الْمِثْلُ أَيْ هُوَ أَحَدٌ، وَقِيلَ: هُوَ عَلَىٰ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ مَجَازُهُ:لم يَكُنْ لَهُ أَحَدٌ كُفُوًا أَيْ مِثْلًا ، قَالَ مُقَاتِلٌ: قَالَ مُشْرِكُو الْعَرَبِ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ، وَقَالَتِ اليهود: عزيز ابْنُ اللهِ، وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، فَأَكْذَبَهُمُ اللهُ وَنَفَىٰ عن ذاته الولادة والمثل.

سُورَةُ الْفَلَقِ

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ، رَوَىٰ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ** :﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ »(١) ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَلَا أَدُلُّكَ -أَوْ أَلَا أُخْبِرُكَ- بِأَفْضَلِ مَا يَتَعَوَّذُ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ ، قَالَ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ(٢) .

[١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ أَيْ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ أَسْتَجِيرُ وَأَسْتَعِيذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ أَرَادَ بِالْفَلَقِ الصُّبْحَ، وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ، قَالَ الطَّبَرِيُّ: وَالْفَلَقُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: فَلَقُ الصُّبْحِ، تَقُولُ الْعَرَبُ: هُوَ أَبْيَنُ مِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ، وَمِنْ فَرَقِ الصُّبْحِ ، وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَالصَّوَابُ

(١) مسلم (٨١٤) .

(٢) أحمد (١٧٣١٣) .

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ إِنَّهُ فَلَقُ الصُّبْحِ وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، وَهُوَ اخْتِيَارُ الْبُخَارِيِّ فِي صَحِيحِهِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ.

[٢] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أُمِرَ بِالِاسْتِعَاذَةِ بِاللهِ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ فِي هَذَا الْكَوْنِ، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: جَهَنَّمُ وَإِبْلِيسُ وَذُرِّيَّتُهُ مِمَّا خَلَقَ.

[٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ الْمُرَادُ بِهِ الْقَمَرُ إِذَا خَسَفَ وَاسْوَدَّ: وَقَبَ أَيْ دَخَلَ فِي الخسوف أو أخذ فِي الْغَيْبُوبَةِ وَأَظْلَمَ ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْغَاسِقُ اللَّيْلُ إِذَا أَقْبَلَ بِظُلْمَتِهِ مِنَ الْمَشْرِقِ وَدَخَلَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وأظلم، والغسق الظُّلْمَةُ، يُقَالُ غَسَقَ اللَّيْلُ وَأَغْسَقَ إِذَا أَظْلَمَ، وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وَمُجَاهِدٍ، يَعْنِي: اللَّيْلَ إِذَا أَقْبَلَ ودخل، والوقوب: الدُّخُولُ، وَهُوَ دُخُولُ اللَّيْلِ بِغُرُوبِ الشَّمْسِ قَالَ مُقَاتِلٌ: يَعْنِي ظُلْمَةَ اللَّيْلِ إِذَا دَخَلَ سَوَادُهُ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ. وَقِيلَ: سُمِّيَ اللَّيْلُ غَاسِقًا لِأَنَّهُ أَبْرَدُ مِنَ النَّهَارِ، والغسق البرد.

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ أَيْ: وَمِنْ شَرِّ السَّوَاحِرِ، اللَّاتِي يَسْتَعِنَّ عَلَىٰ سِحْرِهِنَّ بِالنَّفْثِ فِي الْعُقَدِ، الَّتِي يَعْقِدْنَهَا عَلَىٰ السِّحْرِ، يَعْنِي الْيَهُودَ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَحْسُدُونَ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ مُجَاهِدٌ وعكرمة: يَعْنِي السَّوَاحِرَ، قَالَ مُجَاهِدٌ: إِذَا رَقَيْنَ وَنَفَثْنَ في العقد، وفي الحديث: « أن جبريل جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ اشْتَكَيْتَ يَا مُحَمَّدُ؟ فَقَالَ: «**نَعَمْ**»، فَقَالَ: بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ دَاءٍ يُؤْذِيكَ، وَمِنْ كُلِّ شَرِّ حَاسِدٍ وَعَيْنٍ،

اللهُ يَشْفِيكَ»[1] ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : وَلَعَلَّ هَذَا كَانَ من شكواه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ سُحِرَ، ثُمَّ عَافَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ وَشَفَاهُ، وَرَدَّ كَيْدَ السَّحَرَةِ الْحُسَّادِ مِنَ الْيَهُودِ فِي رؤوسهم وجعل تدميرهم في تدبيرهم.

[٥] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ قَالَ قَتَادَةُ: مِنْ شَرِّ عَيْنِهِ وَنَفْسِهِ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: هُمُ الْيَهُودُ لَمْ يَمْنَعْهُمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ إِلَّا حَسَدُهُمْ ، قَالَ السَّعْدِيُّ: وَالْحَاسِدُ، هُوَ الَّذِي يُحِبُّ زَوَالَ النِّعْمَةِ عَنِ الْمَحْسُودِ فَيَسْعَىٰ فِي زَوَالِهَا بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْبَابِ، فَاحْتِيجَ إِلَىٰ الِاسْتِعَاذَةِ بِاللهِ مِنْ شَرِّهِ، وَإِبْطَالِ كَيْدِهِ، وَيَدْخُلُ فِي الْحَاسِدِ الْعَاينُ، لِأَنَّهُ لَا تَصْدُرُ الْعَيْنُ إِلَّا مِنْ حَاسِدٍ شِرِّيرِ الطَّبْعِ، خَبِيثِ النَّفْسِ، فَهَذِهِ السُّورَةُ، تَضَمَّنَتِ الِاسْتِعَاذَةَ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الشُّرُورِ، عُمُومًا وَخُصُوصًا. وَدَلَّتْ عَلَىٰ أَنَّ السِّحْرَ لَهُ حَقِيقَةٌ يُخْشَىٰ مِنْ ضَرَرِهِ، وَيُسْتَعَاذُ بِاللهِ مِنْهُ وَمِنْ أَهْلِهِ، رَوَىٰ ابْنُ مَاجَهَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « **اسْتَعِيذُوا بِاللهِ تَعَالَىٰ مِنَ الْعَيْنِ، فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ**»[2].

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفَلَقِ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَوَاسِعِ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ

---

(١) مسلم (٢١٨٦) .

(٢) ابن ماجه (٣٥٠٨) .

سُورَةُ النَّاسِ

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ.

[١-٣] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ﴾ قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: هَذِهِ ثَلَاثُ صِفَاتٍ مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ: (الرُّبُوبِيَّةُ) وَ (الْمُلْكُ) وَ(الْإِلَهِيَّةُ)، فَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ وَإِلَهُهُ، فَجَمِيعُ الْأَشْيَاءِ مَخْلُوقَةٌ لَهُ مَمْلُوكَةٌ، فَأُمِرَ الْمُسْتَعِيذُ أَنْ يَتَعَوَّذَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ.

[٤] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ يَعْنِي الشَّيْطَانَ وَهُوَ الشَّيْطَانُ الْمُوَكَّلُ بِالْإِنْسَانِ فَإِنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ إِلَّا وَلَهُ قَرِينٌ يُزَيِّنُ لَهُ الْفَوَاحِشَ، وَلَا يَأْلُوهُ جُهْدًا فِي الْخَبَالِ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَهُ اللهُ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينَةٌ**» قَالُوا: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير**»(١)، قَالَ الزَّجَّاجُ: يَعْنِي الشَّيْطَانَ ذَا الْوَسْوَاسِ، الْخَنَّاسِ الرَّجَّاعِ، وَهُوَ الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَىٰ قَلْبِ

---

(١) مسلم (٢٨١٤).

الْإِنْسَانِ، فَإِذَا ذُكِرَ اللهُ خَنَسَ وَإِذَا غُفِلَ وسوس، قال: الْخَنَّاسُ لَهُ خُرْطُومٌ كَخُرْطُومِ الْكَلْبِ فِي صَدْرِ الْإِنْسَانِ فَإِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ خَنَسَ ، فَذَلِكَ .

[٥] : ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ بِالْكَلَامِ الْخَفِيِّ الَّذِي يَصِلُ مَفْهُومُهُ إِلَىٰ الْقَلْبِ مِنْ غَيْرِ سماع.

[٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ تَفْسِيرٌ لِلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنْ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ، يَعْنِي يَدْخُلُ فِي الْجِنِّيِّ كَمَا يَدْخُلُ فِي الْإِنْسِيِّ، وَيُوَسْوِسُ الْجِنِّيُّ كَمَا يُوَسْوِسُ الْإِنْسِيُّ ، قَالَهُ الْكَلْبِيُّ، وَقَوْلُهُ: فِي صُدُورِ النَّاسِ أَرَادَ بِالنَّاسِ مَا ذَكَرَ مِنْ بَعْدُ وَهُوَ الْجِنَّةُ وَالنَّاسُ، فَسَمَّىٰ الْجِنَّ نَاسًا كَمَا سَمَّاهُمْ رِجَالًا، فَقَالَ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الجن : ٦].

وَصَلِّ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ،
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الفهرست